الفصل الثاني

تفاعل الشعر الإسلامي
مع الواقع الحي للمأساة

- المبحث الأول: نكبة عام (١٩٦٧م): أسبابها وآثارها.
- المبحث الثاني: من معاناة الشعب الفلسطيني ومظاهر الإرهاب.
- المبحث الثالث: مأساة النزوح ومشاعر الحنين والغربة.
- المبحث الرابع: حريق المسجد الأقصى عام (١٩٦٩م) وردود الفعل العربية.
- المبحث الخامس: اجتياح لبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا.

obeikandi.com

obeikandl.com

مقدمة

الشعراء مرايا الأمة، يعكسون واقعها ويحكون آلامها وآمالها، ويجسدون مسارات فكرها، ويؤرخون لكل أحداثها.

وقد واكب الشعر الإسلامي أحداث القضية الفلسطينية، وصور محنة الشعب الفلسطيني ومعاناته في سبيل تحرير أرضه المقدسة المغتصبة، فانسابت القصائد التي تصور المأساة بلسان يبين عن زفرة الأسى ولظى الحنين وتدفق الألم، مما يعكس استشعار المسلم للمسؤولية المنوطة به، فعبر عن آلام الشعب في محنته القاسية وآماله في غد مشرق وحياة آمنة كريمة، ونبه الضمائر إلى ضرورة الدفاع عن الحق السليب واسترجاع الوطن المحتل.

وقد طرق الشعراء هذا الباب من خلال موضوعات عديدة منها:

obeikandi.com

المبحث الأول

نكبة عام ١٩٦٧م، أسبابها وآثارها

بعد استقراء جملة صالحة من الشعر الذي عرض لهذه النكبة وما تلاها من مضاعفات وما أعقبها من عواقب، وجدت أن تلك الأشعار تتناول بصورة رئيسة القضيتين التاليتين:

- وصف أحداث النكبة والهزيمة، والتعرض للأسباب التي أدت إلى وقوعها، والأثر النفسي الذي تركه هول هذه النكبة في النفوس الشاعرة.

- سبيل مواجهة النكبات التي منيت بها الأمة -وهذه إحداها- ورسم طريق النجاة الوحيد، مستمداً من عقيدتنا وديننا الذي يوجه سلوك المسلم وينير خطواته.

لذا سأحصر الكلام في هاتين القضيتين، مستشهدة بأشعار سبعة من الشعراء الذين تناولوا هذه النكبة، على أنها نماذج للكثير الذي قيل في ذلك، مما لا سبيل إلى الإحاطة به جميعاً.

في مقدمة الشعراء الذين توقفوا عند هذا الحدث، الشاعر السوري عمر بهاء الدين الأميري[1]، الذي نظم قصيدة طويلة عنوانها: الهزيمة والفجر. وهذا العنوان

---

(١) عمر بهاء الدين الأميري: (١٩١٥-١٩٩١م) ولد في حلب في سورية، عمل في التدريس والمحاماة، ثم عين وزيراً مفوضاً في باكستان وفي السعودية، ثم اختار الإقامة في المغرب إلى أن توفي وله دواوين كثيرة. انظر من شعر الجهاد في العصر الحديث: ٢٨٥.

الذي اختاره لقصيدته ينبىء بنفسية الشاعر وتأرجحها بين مشاعر اليأس والأمل حيث يقول(١):

على بُراقٍ من الإشراق منطَلَقـي ... من حَومةِ الهمِّ واللّأواء والقلـقِ
في مطمحي أملٌ لم تخبُ جذوتُه ... برحمة الله والأعبـاءُ في عُنُقـي
أرنو إلى الله والضراءُ تُحـدِقُ بي ... ونكبةُ المسجدِ الأقصى على حَدَقي

فنكبة الأقصى تملأ قلبه وبصره، والأمل برحمة الله يشده للتطلع إلى المستقبل، ولكنه غير قادر على تصور ما آلت إليه حال المقدسات بعد الاحتلال(٢):

عيناي عيناي ويلُ الهولِ صـورتُه ... في أدمعي حيثُما يمّمتُ من أفقي
ما لي أرى الصخرةَ الشمّاءَ في كمد ... تذوي وعهدي بها مرفوعةَ العُنُقِ
ومنبرُ المسجدِ الأقصى يئن أسـىً ... قد كان يحبو الدُّنا من طُهرهِ الغَدِقِ

كما كان للشاعر وقفة واعية على أسباب الهزيمة ومقدماتها، فاليهود -مع ذلتهم وتفرقهم وقلة عددهم- أخذوا بأسباب القوة، وتوحدوا في حروبهم، واستخدموا المكر والحيلة التي جُبلوا عليها، فكان لهم النصر(٣):

وقائلين يهـودٌ قلـت واحَرَبـا ... أجل يهودُ يهودُ الذلِّ والفَـرَقِ
يا لائمون انظروا فالله مـن أزلٍ ... أرسى نواميسه في الخَلْق كالفَلَقِ
هم حاربونا برأي واحد، عـدد ... قِلٌّ ولكنْ مضاءٌ ثابـتُ النَّسَـقِ
علماً ودأبـاً وإعـداداً وتعبئـةً ... وبادروا غزونا في مكرِ مسْـتَبِقِ

(١) من وحي فلسطين: ٦٥.

(٢) المرجع السابق: ٦٥-٦٦.

(٣) المرجع السابق: ٦٩.

وهو ينظر بالمقابل إلى حال المسلمين فيجدهم كثرة لا تغني شيئاً، وآراء بدداً، شُتّت شملهم وبُدّد جمعهم[1]:

كُثْرٌ ولكن عديدٌ لا اعتدادَ به ... جمع ولكن بديدٌ غيرُ متّسِقِ
حارتْ عقائدُنا زاغتْ قواعدُنا ... أما الرؤوسُ فرأيٌ غيرُ متفقِ
وأعلنوها وما خاضوا معامعَها ... ولا أعَدّوا لها إعدادَ ذي حَذَقِ
فكان من أمرِنا ما كان من فشلٍ ... هذي جحافلُهم مهزومةُ المِزَقِ
هم هُزمنا وما زلنا وما اتعظَتْ ... عُمْيُ النفوسِ ألا إن الشّقِيَّ شَقِي!

فالشاعر هنا يؤكد سبب الهزيمة؛ إنه الفرقة والاختلاف وعدم وضع الأمور في نصابها الصحيح؛ فقد كانت البلاد العربية في ذلك الوقت غارقة في خلافاتها، مما شغلها عن تهيئة أسباب القوة والإعداد للحرب، فأعلنوا الحرب و لم يخوضوها، وإنما هزمهم العدو في الساعات الأولى منها مستغلاً عنصر المفاجأة بعد أن استكمل الإعداد لها فكانت النكبة والهزيمة.

وخلاصة ما ذكره الشاعر أن مقدسات فلسطين الإسلامية ملء السمع والبصر، وأن اليهود عَدَوا عليها متسلّحين بتوحيد الصف والكلمة، وآخذين بأسباب النصر، وأن العرب والمسلمين بالمقابل حملوا بذور الفرقة وزيغ العقيدة وافتراق الكلمة فكانت هذه النتيجة الفاجعة.

وفي ذكرى الهزيمة ينظم الشاعر قصيدة بعنوان ((سيطول الطريق والنصر آتٍ)) ويقدم لها بقوله[1]: ((أيام وتطل ذكرى الهول الفاجع، ذكرى الهزيمة

(١) من وحي فلسطين: ٧٠-٧٢.

والنكبة، ذكرى الخامس من حزيران، فأين نحن من معركة الثأر، وأين نحن من يوم النصر؟)). وعنوان القصيدة يدل على مغزاها، حيث يعرض الشاعر في مقدمتها أثر هزيمة الخامس من حزيران وما تبعها من أحداث أليمة. ثم طفق يؤنب المسلمين على التراخي عن نصرة إخوانهم في الأرض المباركة. وانشغالهم بالشعارات الخادعة التي أوردتهم موارد الذلّ والخضوع، وأعمت أعينهم عن ((دواهي حزيران)) وموهت عليهم ((النكبة الضروس)) يقول(٢):

تتوالى ذكرى حزيران والأحـ ... ـداثُ تَترى والجرحُ يزدادُ عُمقا
ونُسيغ الحياةَ في رَهَج الزيْـ ... ـفِ ونَلْوي عن المخاطرِ عُنْقا!
وكأنّا قد أَزْمَنَ البُطل فينا ... فغَدَوْنا لا نعرفُ الحقَّ حقّا

((ويميط الستار عن سبب بارز في النكبة: إنه تكبيل الطغاة للشعوب والوصاية عليها والنطق ظلماً باسمها. ولقد هُزم الطغاة بتكبيل الشعوب وإهدار طاقاتها وعقيدتها، ومصادرة حرياتها))(٣) يقول(٤):

الشعاراتُ للخداعِ هتافا ... تٌ وزورٌ نرقى بها شرَّ مَرْقى
ويساقُ الشّعبُ المكبّلُ بالأغْـ ... ـلالِ في موكبِ التحررِ سَوْقا
موّهوا النكبةَ الضروسَ عليه ... خنقوا ثورةَ الجماهيرِ خَنْقا
أيها الصُّمُّ عن دواهي حزيرا ... نَ بَكِمْتُم فلا تطيقون نطقا

---

(١) من وحي فلسطين: ١٦٤.
(٢) المرجع السابق: ١٦٥.
(٣) شعراء وأدباء على منهج الأدب الإسلامي: ١٨/٢.
(٤) من وحي فلسطين: ١٦٦.

والأفكار نفسها التي وردت في قصيدتي الأميري يكررها الشاعر أحمد محمد الصديق[١]، الذي نظم قصيدة في نكبة حزيران مطلعها[٢]:

من رعشة الجرح بل من وطأة الألم   يجيش بالشعر في ليل الأسى قلمي

ويُلمَح من هذا المطلع مدى المعاناة التي غشت قلب الشاعر باللأواء والأسى جراء النكبة، ثم يقول[٣]:

عجبتُ من أمةٍ قد أسلمتْ يدَها   للقيدِ مذلولةً منكوسةَ العَلَم
ألا بقيةُ إيمانٍ تحركُها   ونفحةٌ من إباءِ الروحِ والشّممِ؟
ما جرّعتْ محنةٌ بالخزيِ مثقلةٌ   أمرَّ من كاسِنا كاساً لمنهزمِ

وهو في ذلك يتعجب من الحالة التي آلت إليها الأمة؛ إذ أصبحت أعلامها منكسة حين أسلمت يدها للقيد في ذلة واستكانة، ويتساءل: أين روح الإباء والعزة التي يذكيها الإيمان في قلب المسلم؟ ألم يبق منها بقية؟. ثم يقرر أن هذه المحنة المثقلة بالخزي قد جرعت الأمة كأساً مراً لم يتجرعه أحد.

واستمراراً في استثارة المشاعر الإسلامية لدى أبناء الأمة، نظم الشاعر نفسه قصيدة أخرى عقب النكبة أسماها ((يا مسلمون)) غمرتها الروح الجهادية وظللتها

---

(١) أحمد محمد الصديق: شاعر فلسطيني، ولد في (شفا عمرو) بالقرب من حيفا في فلسطين، عام ١٩٤١م، درس الشريعة في السودان، وعمل في التدريس في قطر، وحصل على الماجستير في الشريعة الإسلامية في جامعة الأزهر. انظر الشعر الإسلامي الحديث: ٢٠١.

(٢) نداء الحق: ٢٢٢.

(٣) المرجع والصفحة نفسها.

بظلال الثورة والدعوة إلى الانتقام والأخذ بالثأر. وفيها يوجه الشاعر نـــداءه إلى المسلمين فيقول(١):

يا مسلمون ومن سواكم للحمى إنْ كَشّرتْ عن نابها الأخطـــارُ؟
يدعوكم الوطنُ الذبيحُ ومسجدٌ أُســـري إلى ســاحاته المختـــارُ
يجترُّ في القيدِ العـذابَ مـردداً شكواه: أين الأمـةُ الأخيـارُ؟
أين الذين همُ الرجالُ إذا دُعـوا هَبُّوا، وإن دوّى النفيرُ أغــاروا؟

فالشاعر يهيب بأبناء الأمة إلى الزحف المقدس لنصـرة إخــوانهم في أرض الإسراء، فليس من الإيمان أن يسمع المسلمون نداء ((الوطن الذبيح)) ولا يجيبون وليس من الإسلام أن يروا المسجد الأقصى ((يجتر في القيد العذاب)) ولا يلبـون نداءه.

ويصف الشاعر الهزيمة وأثرها في نفوس المسلمين، وما أحدثت من هزة عنيفة نبهتهم من غفلتهم، وأزالت الغشاوة عن أعينهم فيقول(٢):

خطـــبٌ ألمّ ومحنــةٌ مكتوبــةٌ بدمائنا زاغــتْ لهــا الأبصــارُ
ولعلها تجلو القذى عــن أعــين فتخط درباً لـــيس فيــه عِثــار
فلينقشعْ عنّــا الضــبابُ فإنــه دون الحقيقــة حائــلٌ وســتارُ
ولينكشفْ ليلُ الطواغيــتِ الأُلى عاثوا فساداً في البلادِ وجــاروا
الله لـــيس بغافـــلٍ وقضــاؤه عَدْلٌ، تعــالى الواحــدُ القهــارُ

---

(١) نداء الحق: ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) نداء الحق: ٢٢٩.

ومن الشعراء الذين توقفوا عند هذا الحدث الشاعر أحمد فرح عقيلان[1]: فقد نظم قصيدة بعنوان ((صرخة في مأتم العيد)) في أول عيد بعد نكبة حزيران سنة ١٩٦٧م. والقصيدة حافلة بالنداء الوجداني الذي يهز المشاعر ويوقظ القلوب ويثير العواطف.

يحدثنا الشاعر في مستهل قصيدته عن العيد بعد الهزيمة فيقول[2]:

يا عيدُ يا مأتماً للأهل والدار ... لا عُدْتَ إن لم يُزَيِّنْكَ الدّمُ الجاري!
حطمتُ قيثارتي قَطّعْتُ أوتاري ... جفّ الغِنَاءُ ودقّت ساعةُ الثارِ
ماذا أغنّي وتاريخُ العروبةِ في ... مستنقعِ الذلِّ والتشريدِ والعارِ؟
والقدسُ والمسجدُ الأقصى وصخرتُه ... عاد الأذانُ بها تهريجَ كفّارِ

ويرتفع صوت الشاعر مخاطباً عيد الهزيمة؛ لأنه لا عيد إلا بعد النصر في معركة الثأر، فهذا هو العيد الحقيقي وهو الفرحة الكبرى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠/٤-٥] ويتساءل الشاعر: هل للفرح مكان في هذا الواقع المؤلم وقد حلّ بالأقصى ما حلّ حيث عاث اليهود به فساداً وإفساداً؟.

وفي جو الهزائم والغمة التي تخيم على الأمة، يتوجه الشاعر إلى أعماق

---

(١) أحمد فرح عقيلان: شاعر فلسطيني، ولد في قرية الفالوجة بفلسطين سنة ١٩٢٤م، نشأ في أسرة متدينة تحب العلم والأدب، عمل مدرساً في فلسطين وفي السعودية، ثم أصبح مستشاراً ثقافياً في الرئاسة العامة لرعاية الشباب، وله مشاركات في الإذاعة والصحافة والتلفاز، انظر مدرسة بدر وشعراؤها: ٤٦.

(٢) جرح الإباء: ٢١.

التاريخ، فيسمع صوت صلاح الدين الأيوبي غاضباً ساخطاً، منكراً على أبناء الأمة الخنوع والاستكانة وهم أهل العقيدة ونسل الصحابة من الصيد والأطهار، ومذكّراً إيّاهم بما حققه من انتصارات على العدو الصليبي بتأييد من الله لإعلاء راية التوحيد، جاعلاً شعاره ((الله أكبر)) ومجاهداً في سبيله تحت هذا الشعار(١):

كأن صوتَ صلاحِ الدين من غضبٍ ... يكاد يقذفُ وجهَ الغُرْب بالنارِ
يقول: يا عُربُ يا أهلَ العقيدةِ يا ... نسلَ الصحابةِ من صِيدٍ وأطهارِ
بالأمسِ دوّختُ أوربا بما حشدتْ ... واليومَ يهزمكم شذاذُ أشرارِ
لما حملتُ لواءَ اللهِ أيّدني ... وعاد (ريكردُ) قلبُ الليثِ كالفارِ
وجلجلتْ رايةُ التوحيدِ تحرُسُنا ... كأنما خفقُها أنفاسُ إعصارِ
اللهُ أكبرُ في حطين صرختُنا ... أما الشعارُ فدينُ الخالقِ الباري

ويسهب الشاعر في الحديث عن أسباب الهزيمة، فبعد أن عرض تلك الصورة المشرقة للتاريخ المجيد، يأتي بالصورة المقابلة لها في الحاضر الأليم، ليظهر بوضوحٍ سبب الهزيمة بعد النصر، والضعف بعد القوة(٢):

لهفي على العُربِ أعلاماً ممزقةً ... وراءها كلُّ طبّالٍ وزمّارِ
تقسّمتْنا شعاراتٌ يروّجها ... في شعبِنا كلُّ طاغوتٍ وغدّارِ
فإن دعا للهدى والحقِّ داعيةٌ ... تناعقوا حوله: رجعيٌّ أفكارِ
ساروا إلى الحربِ أشتاتاً بلا هدفٍ ... مزوّدين بقرعِ الدّفِ والطارِ
وقد رأوا صفرةَ الرنّانِ باهرةً ... باعوا الكرامةَ قنطاراً بدينارِ

---

(١) جرح الإباء: ٢٢-٢٣.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

فالتمزق والفرقة والخلافات في مقدمة أسباب الهزيمة، أما الجهاد فتحول إلى شعارات يروجها الطواغيت تضليلاً للشعوب، فاستشرت الرذائل وركن الناس إلى الدنيا ((فباعوا الكرامة قنطاراً بدينار)).

ومن الشعراء الذين أبرزوا أسباب الهزيمة الشاعر مأمون جرار[١] في قصيدته ((القدس تصرخ)) التي يبدؤها بتساؤل يستصرخ فيه الأمة لإنقاذ الأقصى من براثن الأعداء، حيث يقول[٢]:

مالي أراكم ذاهلين سُكارى ... مالي أراكم تائهين حيارى؟
مالي أراكم قائمين على الخنا ... متقلبين به دجىً ونهارا؟
مالي أراكم تركضون لهوّةٍ ... خلف السرابِ. ألا ترون منارا؟
يا قوم أبكتْني مصائبُ أمةٍ ... لاقت سفينةُ ركبِها إعصارا
يا قومنا قد ذاب قلبي من أسىً ... وتخافتتْ دقاتُه استنكارا

فردة الفعل التي تركتها النكبة لدى الشاعر تتمثل في هذه التساؤلات الحائرة، لَم التيه والذهول والإعراض عن الدين؟ لَم الركض نحو السراب، ولديكم المنار الذي يهديكم في بحر الحياة؟.

---

(١) مأمون فريز جرار: أديب وشاعر إسلامي معاصر ولد في قرية صانور في فلسطين عام ١٩٤٩م، أتم دراسته الجامعية الأولى وكذا دراساته العليا وحصل على دكتوراة في الأدب العربي عام ١٩٨٧م، له عدة دراسات ودواوين شعرية، انظر: مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٣٤٧.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية: ٣/٧٧-٧٨.

ثم يلتفت الشاعر إلى وصف الأثر النفسي لهذه المأساة. فالبكاء ديدنه على أمة تاهت سفينتها حين واجهت الإعصار، وقلبه يذوب أسىً جراء الفاجعة، حين تحول أصحاب الأرض إلى أسرى في أرضهم.

ويفصّل الشاعر في البيتين التاليين في نتائج الهزيمة، فيستنطق القدس بصرخة استنجاد توجهها إلى أسماع أبناء الأمة، لأن اليهود يخططون لهدم الأقصى، مسرى النبي. وقد استباحوا حرمة المقدسات، وعاثوا فيها الفساد، فيقول[1]:

والقدسُ تصرخُ أنقذوني فالعِدا رامـوا بإسـراءِ الـنبيّ دمـارا
ها هم بنو صهيون داسو حُرمتي جعلوا الغوايةَ والفسادَ شعارا

ويحصر الشاعر أسباب النكبة في أمرين: الأول: أننا لم نوعظ بالنكبات السابقة، التي كانت نكبة (١٩٦٧م) مترتبة عليها. والثاني: أننا أحسنّا الظن في أعدائنا مع وضوح أهدافهم العدائية يقول[2]:

يا قومُ كم من نكبةٍ مـرّتْ ولم نوعَظ بها إذ تحمل الإنـذارا
لم نلـقِ بـالاً للنـذير وإنما سِرنا نطاوع مجرماً جبارا

وفي قصيدة أخرى[3] يسهب الشاعر في بيان أسباب الهزيمة. ثم يأسف لحال الأمة الذي أدى بها إلى هذه النكبة. ويعلن أن السبب الرئيسي هو التمزق والفرقة وتعدد الأحزاب والشعارات. كما يعلن الشاعر أن الذي زرع بذور الصراع والفرقة هو المستفيد الوحيد من ذلك كله، إنه العدو المتمثل في (الثالوث المشترك)

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ٣/٧٨.

(٢) المرجع والجزء والصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه: ٣/٨٠-٨١.

دول الغرب والشرق والصهيونية. التي اتخذت شعار (فرّق تسُد) لتفتيت وحدة المسلمين، وتمزيق جهودهم حتى لا يتوحدوا ضدها. وكل ذلك قد تمّ والأمة لا تزال سادرة في غيّها غير مدركة لما يُحاك ضدها.

وللشاعر حسان حتحوت[١] قصيدة يقدم لها بقوله[٢]:

((بعد هزيمة يونيه ١٩٦٧م، قصدت العمرة والزيارة، وفي مجلس بالروضة الشريفة كانت دموع وشجون، ونجوى ودعاء)). ونجد الشاعر في هذه القصيدة يشارك الشعراء السابقين في نظرتهم الواعية إلى الأحداث، فلا يتوقف عند عامل التمزق والفرقة وحسب، وإنما يتعداه إلى أسباب أخرى. فبعد أن يبدأ قصيدته بمناجاة إلهية وتضرع إلى الله يقول[٣]:

ولقد برى عودي وأرّق مقلتي ... أني رأيتُ الداءَ لا يتوارى
ورأيت أمةَ أحمدٍ قد أصبحتْ ... في بُعدها عن أحمدٍ تتبارى
من بعد عصمتِكم بحبلِ الله أصْـ ... ـبحتُم شراذمَ في الخِضَمّ صغارا
كنتم أسوداً في حِمى إيمانِكم ... فخلعتُم الأنيابَ والأظفارا
ولقد شهِدتُ الخطب قبل وقوعه ... لم يألُ تحذيراً ولا إنذاراً
من يزرعُ التفريطَ في إيمانِه ... يجنِ الهزيمةَ والهوانَ ثمارا

(١) ولد الدكتور حسان حتحوت بمصر في كانون الأول ١٩٢٤م، ودرس الطب في جامعة القاهرة، ثم حصل على دكتوراة الفلسفة من جامعة أدنبرة عام ١٩٦٤م وحصل على زمالة كلية الجراحين الملكية بأدنبرة وكلية الجراحين الأمريكية، وعمل أستاذاً بكلية الطب بجامعة الكويت وما زال، وله كتابات علمية وإسلامية، انظر شعراء الدعوة الإسلامية: ٩/١-١٠.

(٢) جراح وأفراح: ٨٥.

(٣) المرجع نفسه: ٨٧-٨٨.

يا مسلمون وما لعـيني لا تـرى / للمسلمين الـوردَ والإصـدارا
دارَ الزمـانُ علـيهمُ فـتغيروا / ليت الزمـانَ علـيهمُ مـا دارا
حسِبوا بأن الدينَ عزلةُ راهـب / واسـتمرؤوا الأورادَ والأذكـارا
والدينُ كان ولا يـزالُ فرائضـاً / ونـوافلاً لله واسـتغفارا
والدينُ مصـباحٌ حملنـا نـورَه / لنبثَّ ما بـين الـدجى أنـوارا
والدينُ حكمٌ باسمِ ربِّك قـائمٌ / بالعدل لا جَـوراً ولا اسـتهتارا
ذاك الهدى يا من يسائلُ ما الهدى؟ / فبأي آياتِ الهـدى تتمـارى؟

نجد عند الشاعر حسان صوتاً موقظاً ومنبهاً المسلمين، فأساس الهزيمة يكمن في البعد عن الدين الذي به يتوحد المسلمون، وبغيره يصبحون ((شراذم في الخضم صغاراً)) وقد كانوا من قبل أسوداً في حمى الإيمان يهابهم العالم أجمع. ويعلن الشاعر أنه لم يفاجأ بالحدث، وهو الهزيمة؛ لأن الهزيمة والهوان حصاد من يزرع التفريط بالدين.

ويندد الشاعر بالحال الذي وصل إليه أبناء الأمة حين تخلوا عن إيمانهم، ففقدوا زمام الأمور وقيادة العالم، وحصروا العقيدة في دائرة ضيقة ونسوا شمولية هذا الدين وآفاقه التي تسع حياة الإنسان كلها. ومتى حُكِّم الدين في حياة الإنسان فلا مكان للجور والفساد، وذلك هو سبيل الهدى والرشاد.

ويلتفت الشاعر إلى حال الأعداء وتوحدهم ضد المسلمين رغم تفرقهم في الواقع، فالخوف من الإسلام وتوحد أبنائه يجعلهم يصدرون عن قوس واحدة رغم اختلافهم في العقيدة: يقول(١):

وانظر عداةَ المسلمين فإنهم ... داءٌ أناخَ على الحِمى وأغارا
متنافرين فإنْ تراءى مسلمٌ ... حسموا الخلافَ ووحّدوا الأوطارا
خوفٌ من الإسلامِ يملأُ قلبَهم ... رعباً ويُذكي في الجوانحِ نارا

وبعد أن عرض الشاعر أسباب الهزيمة يذكر بعض نتائجها، حيث يقول(٢):

ولرُبَّ جرحٍ في فلسطين جرى ... بدمٍ فأجرى المدمعَ المدرارا
ما زال ينتظرُ الدواءَ كتائباً ... تهوى الحِمام وأنفساً أحرارا
القدسُ في أسرِ اليهودِ فزلزلي ... يا أرضُ واهْمي يا سحائب نارا

فالجراح الدامية تستدرّ الدموع ولا دواء لها إلا الكتائب المجاهدة التي تستعذب الموت في سبيل العقيدة. والقدس أصبحت أسيرة في أيدي اليهود فمن ينقذها من الأيدي الباغية؟.

كما كان للشاعر محمد التاجي(٣) مساهمة في هذا الموضوع ففي ذكرى الإسراء ١٩٦٨م عقب النكبة نظم قصيدته ((على هامش

---

(١) جراح وأفراح: ٨٩.

(٢) المرجع نفسه: ٩٠.

(٣) ولد الشاعر محمد محمد أحمد التاجي عام ١٩٢٥م، في جزيرة شندويل بسوهاج في مصر، وتلقى تعليمه الأول في معهد أسيوط الديني، ثم حصل على الشهادة العالية بكلية اللغة العربية بالأزهر، ثم حصل على دبلوم معهد التربية العالي للمعلمين، وعمل في التدريس ثم أصبح

الإسراء)) وعرض فيها صوراً للمأساة تثير الحميّة والشفقة في قلب المسلم، إذ قال[١]:

حاشا لذكراكِ يا إسراء نسيانُ فأنت أنت لسفرِ الدهرِ عنوانُ
ذكراكِ بالأمس كانت في فمي نغماً واليومَ شجوٌ وآهاتٌ وأحزانُ
في أضلعي ثورةٌ ضجّت فضجّ دمي حقداً وثار وراءَ الصدرِ بركانُ
سهمٌ أصابَ من العلياءِ مقتلَها غدراً. ودمعٌ بجفن الحقِّ هتّانُ
لكلِّ فاجعةٍ في الدهرِ سلوانُ وما لنكبةِ أرضِ القدسِ سلوانُ

تجسد الأبيات صورة لوجدان الشاعر والألم النفسي الذي يمضّه، فذكرى الإسراء لا تُنسى، وقد كانت قبل المأساة نغماً حلواً يبعث البهجة في النفس، واليوم ارتبطت هذه الذكرى بالمأساة والهزيمة، مما جعل صدره يمور بثورة عارمة، وحزن شديد جراء هذه الفاجعة التي تلح على ذاكرته.

ثم طفق الشاعر يصف آثار النكبة في عددٍ من الصور الموحية إذ يقول[٢]:

هذي مآذنُه خرساءُ ذاهلةٌ فلا أذانَ ولا في الناسِ آذانُ
بكى المصلى جباهَ الساجدين به وناح في جانبِ المحراب قرآنُ
بيت مشى أمسِ في ساحاته عمر فكيف يمرح فيه اليوم (دايانُ)؟[٣]

موجهاً للغة العربية، وله عدة دراسات أدبية وديوان واحد. انظر شعراء الدعوة الإسلامية: ٩/٦٣-٦٦.

(١) جراح وأفراح: ٩/٧٩.

(٢) جراح وأفراح: ٩/٧٩-٨٠.

(٣) موشي دايان: وزير الحرب الصهيوني عام ١٩٦٧م.

فالمآذن خرساء بعد أن أسكت العدو فيها صوت الأذان و لم يعد يُسمع، والمصلى يفتقد الجباه الساجدة؛ حيث انتهك العدو حرمة المقدسات وأهان من فيها، فالمكان الذي شهد مقدم عمر -رضي الله عنه- منتصراً ظافراً بعد الفتح أصبح ((يمرح فيه اليوم دايان)).

وللشاعر يوسف أبو هلالة(1) تصوير معبر لآثار النكبة، أودعها عدة أبيات من قصيدته الطريق إلى القدس، يقول(2):

غصّ الثرى بدم الأضاحي ... وتلهبتْ سُوحُ الكفاحِ
وتبرّجت جندُ الضلا ... لِ وأطرقت جندُ الصلاحِ
وتواردت سحبُ الهوا ... نِ على الروابي والبِطاحِ
والنورُ طال غيابُه ... والليلُ مسدولُ الجناحِ
والقدسُ في أسرِ اليهو ... دِ وهم على دَنّ وراحِ
والمسجدُ الأقصى غدا ... في الأرض مغلولَ السّراحِ
لندائِه في كل قلْـ ... ـبِ مؤمن، وخزُ الرِّماحِ
أين الذين يقودهم ... للبذل ذبحي واجتياحي؟
ويقول هل من ضيغمٍ ... عن طُهر أمته يلاحي؟
أنا صحتُ أطلبُ عونَهم ... أتراهمُ سمِعوا صياحي؟

---

(1) يوسف محيي الدين أبو هلالة: ولد في معان في الأردن عام ١٩٤٨م، شارك في الجهاد في فلسطين، وعمل في الدعوة إلى الله مرشداً في وزارة الأوقاف الأردنية، أتمّ دراسته الجامعية وحصل على الدكتوراة في الدعوة وأصول الدين، له ديوان مخطوط، انظر شعراء الدعوة الإسلامية: ٦/٩٢-٩٧.

(2) المرجع السابق: ٦/١٠٤-١٠٥.

يصف الشاعر صوراً من آثار الهزيمة والمآسي الدامية المترتبة عليها، فالقتلى في جميع أنحاء الأرض المباركة، وجند الضلال تتحدى جند الصلاح، وسحب الهوان والإذلال تحجب النور وتسدل جناح الظلمة الحالكة، وتسقط المدينة المقدسة في يد العدو الطاغي الذي ينشر الفساد في كل مكان، فيقع الأقصى أسيراً وتنتهك حرمته. ويستنطق الشاعر المسجد الأقصى في صيحة تعبىء المشاعر وتستثير العواطف، إذ يتساءل في حيرة: أين الأبناء الغُيُر الذين يبذلون أرواحهم فداءً للعقيدة؟ وهل من مجاهد ثائر كالأسد إذا استبيح حماه، فيثأر ممن دنس طهر مقدساته؟

أما **القضية الثانية** التي ركّز عليها الشعراء في تناولهم نكبة حزيران فهي وصف الدواء وطريق الخلاص، بعد تشخيص أسباب الهزيمة ووضع اليد على الأدواء التي أدت إليها. وطبعي أن الدواء الحقيقي الذي لا دواء غيره عند الشاعر المسلم الملتزم، يكمن في العودة إلى الله والأخذ بأسباب النصر التي رسمها لخلاص الأمة، مهما طال الزمن وعمّت الخطوب وتكاثف الضباب.

والشاعر المسلم لا ييأس أبداً، بل ينظر إلى الغد نظرة تفاؤل تنبئه بنبأ يمزق ظلام الليل ويجلو الضباب، فتشرق شمس الإسلام وتنير الآفاق. هكذا يصور عمر الأميري طريق النجاة في قوله(١):

لسنا نبالي وللقرآن في دمنا … جُذاً من العزمِ تطوي شقةَ اللَّحقِ
غداً سيشرقُ بالإسلامِ طالعُنا … بدراً وشمساً وتجلو غرةُ الفَلَقِ
والنصرُ بالصبرِ والإيمانِ مَعْقِدُه … والمجدُ بالعزمِ والإعدادِ والسَّبَقِ

---

(١) من وحي فلسطين: ٧٤.

ثم يملأ الأمل صدره بأن يمنّ الله عليه بزيارة ((حرم الأقصى)) محرراً من رجس اليهود فيقول(١):

يا ليلةَ القدْرِ أدعو اللهَ في لَهَفٍ أموتُ من حرمِ الأقصى على نَشَقِ
محرراً من يهودٍ يعبثون به يحوطُه الصّيدُ من أبنائه الخُلُقِ
عليك أُقسمُ بالقرآنِ تلبيةً يا ربِّ يا خالقَ الإنسانِ من عَلَقِ

ويعود الشاعر في قصيدته الأخرى إلى النظرة التفاؤلية المشرقة فيقرر أننا عندما ننفض عنا غبار الدعة والاستخذاء(٢):

سيرى الكونُ من تمرُّدنا الجبّـ ـبارِ ما يسحقُ الطواغيتَ سَحقا
إن للفتحِ موعداً راسخَ العز مِ وسعياً إلى الفداءِ وسبقا
بيعةٌ في الجهاد شقّت من القد سِ إلى الخلد دربَها الوعرَ شقّا
سيطولُ الطريقُ لكن نصرَ اللّـ ـهِ آتٍ وعروةُ الله وثقى

أما الشاعر أحمد الصديق فهو يعمد إلى تحريك النخوة الإسلامية في نفوس المسلمين، علّهم يمدون يد العون لإخوانهم في فلسطين حيث الغاصب يسومهم سوء العذاب، يقول(٣):

عصابةُ الغدرِ عاثتْ في مرابِعِنا ومزّقتْ حرماتِ اللهِ في الحرَمِ
ودنّستْ كلَّ شبرٍ كان منتجَعاً للطّهرِ بل كانَ مهوى الروحِ من قِدَمِ
لو غضبةٌ في سبيلِ الله صادقةٌ لجُندلَ الباطلُ المغرورُ من أَمَمِ
وطوّحت بقِلاعِ البَغْيِ قارعةٌ من السماءِ فلم تثبتْ على قَدَمِ

(١) من وحي فلسطين: ٨١.

(٢) من وحي فلسطين: ١٦٧.

(٣) نداء الحق: ٢٢٣.

بعد ذلك يربط الشاعر المقدمات بالنتائج، ويصل بين أسباب الهزيمة وطريق الخلاص، ويهيب بالأمة أن تستيقظ من رقدتها وتستعيد وعيها فيصرخ قائلاً متعجباً[(١)]:

يا أمة لم يكن في الحقِّ منهجُها	نبشَ الخلاف ونهشَ العرضِ والرَّحِم
لم تبقَ آصرةٌ في اللهِ تجمعُها	لما تقطَّعَ حبلُ الدينِ والذِّمَمِ
ومُرّغت بالخنا أخلاقُ ناشئةٍ	تاه الدليلُ بهم عن صالحِ القِيَمِ
فكيف نبني على رملٍ دعائمَنا	وكيف نطمعُ أن نرقى إلى القِمَمِ؟

وحريّ بالشاعر -بعد أن وضع يده على موطن الداء وأدرك أعراضه وأسبابه- أن يصف له الدواء المناسب والعلاج الشافي.

فالشاعر المسلم لا تتردى نفسه في هوة اليأس وإن ادلهمت الخطوب وحُجب النور عن الأفق. والنصر والتمكين ملازم لهذه الأمة إن أخذت بأسبابه ووثقت عرا الإيمان واعتصمت بحبل الله المتين: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٤٧/٧] والليل مهما طال فإنه سيرحل ليشرق الفجر ويغمر بنوره الأرجاء، يقول الشاعر الصديق[(٢)]:

إن تنصروا اللهَ ينصرْكم فلا تهِنوا	ولا تخافوا حشودَ النّاسِ كُلِّهمِ
ووثّقوا عروةَ الإيمانِ فهْي لكم	عربونُ نصرٍ وسيفٌ غيرُ مُنْثَلِمِ
وسجّلوا في كتابِ الدّهرِ ملحمةً	يشدو بها في فِجاجِ الأرضِ كلُّ فَمِ
سيرحل الليلُ لن يبقى له أثرٌ	إلا صدى مرّ في التاريخِ كالحُلُمِ

(١) نداء الحق: ٢٢٣.

(٢) نداء الحق: ٢٢٥.

أما شاعرنا أحمد فرح عقيلان فهو يصرح بالحل الذي يخرج الأمة من هذا المضيق الذي حشرت نفسها فيه، والتيه الذي ضاعت في أرجائه، فانقلبت من أمة من الأحرار إلى شرذمة من العبيد، يقودهم الجزار إلى الذبح، وينتظر كل منهم دوره لا حول له ولا قوة، وهكذا لصق العار بالأمة ولازمها وصار عنواناً لها[١]:

إن الشعوبَ إذا ضلّتْ حقيقتَها ... أمسى بها العبدُ نخاساً لأحرارِ
والجيشُ من دونِ إيمانٍ ومعتقدٍ ... ضأنٌ يساقُ إلى حانوتِ جزّارِ
مبادئ الكفرِ قد جرّتْ هزائمَنا ... وصيّرتْ عارَنا نشراتِ أخبارِ

وفي نهاية المطاف يناشد الشاعر قومه أن يحطموا الأصنام التي جرت عليهم الوبال، وأن يعودوا وحدة متراصة لا يتسرب إليها الوهن، تسير قدماً لتحرير الديار المقدسة وتطهيرها من رجس الأعداء، تحت قيادة قائد رباني بطل[٢]:

يا قومُ لا ترتضوا الأصنامَ آلهةً ... لأنها أهدرتْنا أيَّ إهدارِ
قوموا لنعلنَها شعواءَ مؤمنةً ... لا رأي فيها لفُسّاقٍ وفجّارِ
يقودها بطلٌ لله هجرتُه ... وراءه جيشُ أطهارٍ وأبرارِ

وينظر الشاعر مأمون جرار إلى الغد نظرة تفاؤلية، فالفجر سيسطع بعد هذا الظلام الحالك، فكلما اشتدت حلكة الظلام قرب طلوع الفجر، وستعود الطيور المغردة حرة طليقة تغني للأزاهير البيضاء في الرياض اليانعة. يقول[٣]:

(١) جرح الإباء: ٢٥.

(٢) جرح الإباء: ٢٥.

(٣) شعراء الدعوة الإسلامية: ٨٢/٣.

لكن سيبدو الفجرُ يوماً ساطعاً وأقول: ولّي وارحلي يا ليلتي
سيُطلُّ مهما طالَ هذا ما أرى ويعود نسمُ الصبحِ يبهجُ مهجتي
وتعود أسرابُ البلابلِ حرةً تشدو لزهرٍ أبيضٍ في روضتي

ويؤكد الشاعر نفسه فكرة العودة إلى الدين الصحيح والتمسك بالمبدأ الأصيل في قصيدة أخرى حيث يقول[1]:

لم يبقَ إلا مبدأٌ نرجو به أن نبلغَ الآمالَ والأوطارا
لم يبقَ إلا دينُنا إسلامُنا يمحو الفسادَ وينسفُ الأوكارا
إسلامُنا بالأمسِ أنشأ أمةً كانت تعيشُ مذلةً وصَغارا
فغدت بفضلِ الله أعظمَ أمةٍ كانت لكلِ الحائرين منارا

فالإسلام قد صنع من أمة جاهلية -كانت تحيا حياة الذل والمهانة- صنع منها خير أمةٍ أخرجت للناس، فكانت المنار الذي يهدي الحائرين في كل زمان ومكان إلى الطريق القويم.

ثم طفق الشاعر يمجّد الشهداء الذين كانوا دائماً وما زالوا رموزاً ومنارات تهدي السائرين على الطريق، وتدعو من يركز منارات أخرى في الطريق إلى تخليص الوطن السليب ((فشرف الشهادة لا يعادله شرف آخر، فهو عنوان لكل أمة ترفض الاستعباد والمذلة، وهو رمز ترفعه الشعوب المناضلة شعلة وضاءة تظل أبد الدهر تسطع كرامة وأنفة وتذكي لهيبها دماء الشهداء التي لا تنضب))[2]. فيقول[3]:

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ٣/٧٩.

(٢) الاتجاه الإنساني في الشعر العربي المعاصر: ٢٠٧.

(٣) شعراء الدعوة الإسلامية: ٣/٧٩.

وإذا اتخـــذنا ديننـــا منـــهاجَنا فبِـــه نـــربي صـــفوةً أبـــرارا
يشرون دنيـــاهم بـــأكرمِ ميتـــةٍ حتى ينـــالوا الخلـــدَ والأنهـــارا
وإذاً تعود الدارُ أكـــرمَ عـــودةٍ ونعود نرفع في الـــديارِ الغـــارا

ومن الشعراء الذي وقفوا طويلاً عند تمجيد الشهداء الشاعر يوســـف أبـــو هلالة في قصيدته ((الطريق إلى القدس)). فبعد أن اســـتعرض الصـــور الداميـــة للمأساة قال[1]:

ومـــن القفـــارِ الجـــردِ تبْـــــــزغ نبعـــةُ المـــاءِ القَـــراحِ
فتـــدفقتْ جنـــدُ العقيـــــــدة أنهـــراً في كـــلّ ســـاحِ
وحـــداؤُها القـــرآنُ عنـــــــوان الهدايـــةِ والفـــلاحِ
وتقـــول: إن شـــحَّ العطـــاءُ فـــنحن للـــدين الأضـــاحي
وعلى الطريـــق شـــدا الرجـــالُ بألســـنِ البـــذل الفِصـــاحِ
والفـــوز فـــوزُ الخاضبيـــــــن جســـومَهم بـــدمِ الجِـــراحِ
والعـــائفين العـــيشَ عيـــــــشَ المســـتذَل المســـتباحِ

كما تنبع العيون الصافية في الصحارى المقفرة، نهضت هذه المجموعة مـــن المجاهدين كالأنهر الهادرة، وحادي ركبها القرآن الكريم رمز الهدايـــة والفـــلاح، ولسان حالها يقول: إننا نبذل أرواحنا فداءً للعقيدة، في زمن شحّ فيـــه البـــذل والعطاء. فالفوز حليف الشهداء الذين تخضّبت أجسادهم بالدماء الزكية جهـــاداً في سبيل عزة الإسلام والمسلمين.

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ٦/١٠٥-١٠٦.

ثم شرع شاعرنا في وصف الحدث الذي قامت عليه القصيدة(١)، فقال(٢):

خمساً من الساعاتِ يهـــ ـــزم روعُها هوجَ الرياحِ
ولشدةِ الأهوالِ يغـــ ـــدو الثبتُ فيها غيرَ صاحِ
يهوي بها رضوانُ مثـــ ـــلَ النَّسر مقصوص الجناحِ
من بعدما اقتحم الرّدى والقصفُ قد غمر النواحي
فرأيته وعليه من حللِ الدّما أبهى وشاحِ
وجبينُه المشجوجُ يحـــ ـــكي للدُنا قصصَ الكِفاحِ
وجراحُه عطراً تفو ح كأنها وردُ الأقاحي
فحنوتُ ألثمُ جرحَه الرّ عّافَ فانتكأت جراحي
وهمتْ على خدي الدموعُ وقلت يا روحي وراحي
هلاّ رحمتَ قلوبَنا فعدلتَ عن هذا الرواحِ
فأجابني البطلُ المسجّـــ ـــى هازئاً بي باقتراحي
كفكفْ دموعَك ليس في عبراتِك الحرّى ارتياحي
هذا سبيلي إن صدقـــ ـــتَ محبتي فاحمل سلاحي

(١) ذكر الشاعر مناسبة القصيدة في قوله: «ذات يوم وبعد هزيمة حزيران الأسود خاضت مجموعة من الشباب المسلم معركة مع اليهود أسفرت عن استشهاد الأخ رضوان عمر بلعة، ذلك الذي عرفته في ساح الأخوة أصفى ما يكون الإنسان، والذي رأيته على مذبح الشهادة مخضب الكفين، مشجوج الجبين، في مزق لحمه ضجيج وفي رعاف جرحه صلاة» شعراء الدعوة: ٦/١٠٤.

(٢) شعراء الدعوة: ٦/١٠٧-١٠٨.

تلك هي قصة استشهاد ذلك المجاهد البطل الذي كان شجاعاً كالنسر، وظل صامداً في المعركة إلى أن خضب جسمه بالدماء الزكية كورد الأقاح، وأحس الشاعر بدنو ساعة الفراق وغالبته دموعه إلا أن الشهيد يوصيه بوصيته الخالدة التي يوجهها إلى الشاعر جاعلاً شخصه استقطاباً للإنسان المسلم، فيرى فيها السبيل الأوحد للنصر، فيقول: هذا هو الطريق طريق الجهاد مشيته، فإذا توقفت فأكمل أيها المسلم الطريق واحمل السلاح وواصل الجهاد.

أما الشاعر حسان حتحوت فيوجه حديثه إلى الزعماء المسلمين مهيباً بهم أن يحيوا فريضة الجهاد إعلاء لكلمة الله، ولا مراء في استجابة أبناء العقيدة الضياغم لداعي الجهاد والتسابق لميادين الشهادة، وسيُجري الله على أيديهم معجزات النصر: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧/٨]. يقول(١):

يا معشرَ الحكّامِ هذا يومُكم ... كي تثبتوا الإيمانَ والإيثارا
من منكمُ يحيي الجهادَ فريضةً ... ويكون سيفُ إلهه بتّارا
يبني على الإيمان خطَّ دفاعه ... وبه يرد من اعتدى أو جارا
يدعو للاستشهاد دعوةَ مؤمنٍ ... فنجيبُ تلك دماؤنا أنهارا
فاهجم تجدْنا في اللقاءِ ضياغماً ... واهبُبْ تجدْنا في الوغى إعصارا
إن كنتَ بالقهّار ربك مؤمناً ... لم تُلفِ من هذا الورى قهّارا
لم ترمِ كفُّك إذ رميتَ وإنما ... أجرى الإلهُ بكفِّك الأقدارا

ويختم الشاعر قصيدته بابتهال ضارع إلى الله تعالى إذ يقول(٢):

(١) شعراء الدعوة: ٢٩/١٠.

(٢) المرجع نفسه: ٢٧/١٠-٣٠.

ثار العبابُ بنـا فـنجٍّ سـفيننا واهدِ الرياحَ وسخّر التيـارا
واجعل لوجهك سعيَنا وجهادَنـا واجعل لك الإعلانَ والإسـرارا

وعبر الشاعر محمد التاجي عن الآمال المعقودة على سواعد أبناء الأمـة في تحرير الأراضي المقدسة من ربقة الاحتلال الغاشم، فها هو ذا يقول[1]:

الويل للشرق[2] إن لانت سواعدُهُ وعاقهُ دون نصر القدسِ خـذلانُ
دع كل صوتٍ سوى الهيجاء ناحية فكلُّ صوتٍ سوى الهيجاء بهتـانُ

* * *

لا كنتَ يا شرقُ يوماً للكرام حمىً إن أنتَ لم تنفجر في غضبةٍ حُمَما
كنِ الردى واركب الأجواءَ صاعقةً والأرضَ ناراً وأمواجَ البحارِ دما
فالحرُّ يغشى حياضَ الموتِ كالحةً ولا يَوَدُّ نعيمَ العـيشِ منـهزما
هذا عرينُك لكن أيـن هيبتُـه؟ والليثُ ليثٌ فتيّاً كان أو هَرِمـا
فيمَ الوجومُ؟ تقدمْ غاضباً حنقـاً عبر الخطوب وزمجرْ صاخباً عَرِما
كالسيلِ منطلقاً كالويلِ مسـتبقاً كالليلِ محتدماً كالنـارِ ملتـهِما
هي الوغى قد رضينا بالوغى حكماً حتى نرى حائطَ الطغيانِ منهدِما
حتى نرى القدسَ حرّاً في عروبتِه حتى نرى الحقَّ والإسلامَ مبتسما

يناشد الشاعر أبناء الإسلام أن يهبّوا لنصر القدس، الأرض المقدسـة، فـلا سبيل إلى تحريرها سوى الجهاد، وكل ما عداه فهو بهتان لا قيمة له. ويسـتنهض

(١) شعراء الدعوة: ٩/٨٠-٨١.

(٢) ((إن لفظة المشرق والشرق مطاطة. عنت في الشعر العربي كله مفاهيم متفاوتة مـن حيـث الرقعة الجغرافية))، الشعر والوطنية في لبنان والبلاد العربية: ١٦٠.

الشاعر الهمم لاقتحام الردى في ثورة وإقدام، فالحر يأبى العيش مهاناً، كالأسد الذي يحمي عرينه ((فتيّاً كان أو هرماً)). ويحرض الشاعر المجاهد المسلم على اقتحام غمار الحرب وعدم التخلف عنها حتى النصر وتحرير القدس لبناء مستقبل مشرق.

وهكذا كان الشعراء على وعي كامل لواقع الهزيمة؛ أسبابها وآثارها، مستنيرين بهدى الإسلام، ومدفوعين بطاقات العقيدة. فلم يكونوا شاهدين على الواقع المؤلم فقط وإنما ترقّوا في ذلك ليكونوا المحرّضين الفاعلين في شعرهم. مما يؤكد فهمهم الإسلامي لأسباب النكبة وآثارها، ومن ثم كان تركيزهم على استثارة المشاعر الدينية لدى أبناء الأمة.

obeikandl.com

المبحث الثاني

من معاناة الشعب الفلسطيني ومظاهر الإرهاب الصهيوني

لقد كان للاحتلال وممارساته الصهيونية التوسعية آثاره الوخيمة، التي أدت إلى استثارة مشاعر المسلمين وتطلعهم إلى اليوم الذي ينتهي فيه هذا الاحتلال الغاشم؛ ليستعيد شعب فلسطين حريته وسيادته على أرضه ووطنه. فلا شك أن رؤية مؤسسات الاحتلال العسكرية، ورؤية قوات الاحتلال اليومية تروح وتغدو على تراب الأرض المقدسة تملأ قلوب المسلمين غضباً وحقداً، وتطلعاً إلى تخليص المقدسات من دنس العدو الغاصب.

وقد اتخذت سلطات الاحتلال سياسات متعددة لتقييد حرية الشعب والضغط عليه، وأطلقت لنفسها العنان للممارسات الإرهابية، بعد أن اقتلعت أهل البلاد من أرضهم بالإبادة أو التدمير أو الطرد أو الاضطهاد.

وتفاوت الشعراء في تصوير المعاناة تبعاً للمواقف التي يعبرون عنها، فحين رأوا ما حلّ بالأرض المباركة وأهلها، أخذوا ينظمون وينشدون مصورين المأساة، ومنادين بالجهاد لتحرير الديار، ومحرّضين على الصمود والثبات في وجه مخططات الأعداء(١).

فكانت الفكرتان الأساسيتان اللتان دارت حولهما القصائد هما:

---

(١) انظر الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث: ٢٨.

- تصوير المأساة ومظاهر الإرهاب الصهيوني، والأثر النفسي لدى الشعراء.

- الدعوة إلى الجهاد لتحرير الديار، والتحريض على الصمود في وجه العدو الغاشم، والتفاؤل بغد مشرق.

فهذا الشاعر يوسف العظم[١] يصف لنا الملامح الأولى للمعاناة حين يبعث إلينا ((رسالة من القدس)) على لسان شيخ فلسطيني يحكي لنا فيها عن الضيق الذي يعاني منه، والآلام التي يكابدها، إذ يقول[٢]:

في ساحةِ المسجدِ المحزونِ حدثني شيخٌ على وجهِهِ الأيامُ ترتسمُ
لمن أبثّ شكاتي والشفاهُ غدتْ خرساءَ ليس لها في الحادثاتِ فمُ
من ذا الذي هدّ منيّ ساعداً ويداً هل ضاع دربي أم زلّت بيَ القدمُ؟
لقد جرعنا كؤوسَ الذلّ مترعةً والقدسُ في العار والمحرابُ والحرمُ
والصخرةُ اليوم باتت غير شامخةٍ لأن نجمةَ صهيونٍ لها علمُ

تلك هي حكاية ذلك الشيخ الذي يصف عجزه عن مجابهة البلاء الذي دهمه وقومه، والمذلة التي اكتنفتهم من الفئة الباغية. ثم يُجري الشاعر الحديث على لسان شهيد، فيعرض صوراً ذات ظلال قاتمة تثير المشاعر فيقول[٣]:

---

(١) يوسف العظم: شاعر أردني، ولد في مدينة معان سنة ١٩٣١م، تخرج من كلية اللغة العربية بالأزهر ثم من معهد التربية للمعلمين بجامعة عين شمس، له مؤلفات عديدة في الشعر والأدب والنقد والفكر الإسلامي والتراجم والقصة وأدب الأطفال. انظر من الشعر الإسلامي الملتزم في الأردن، يوسف العظم شاعر القدس: ١٩-٢١.

(٢) في رحاب الأقصى: ٦٦.

(٣) المرجع نفسه: ٦٧.

وإذ بصوتِ شهيدٍ في مسـامعنا يـئن في ألمٍ مـاذا أصـابكُم؟
أتطربـون لآهـاتٍ نصـعّدها ويترف الجرحُ (والقطعان) تبتسمُ؟!
في ظل زيتونتي ناح الحمامُ لِمـا أصاب من مزّق العدوانُ جمعَهمُ
بالأمسِ كنتُ أرى زيتاً نباركـه واليوم يترفُ من جرحي الأليمِ دمُ
في خيمةٍ عصفت ريحُ الزمانِ بها لحتُ بعضَ بني قومي وقد سلموا
فأُسلموا لنيوبِ المـوتِ ضـاريةً الـبردُ والجـوعُ والإذلالُ والألمُ

يعلو صوت الشهيد بالنكير على الأمة؛ بسبب تقاعسها وتخاذلها عن الجهاد، ويتساءل في عجب عما أصابهم، علّه يوقظهم من همود الغفلة والإلف والعـادة، ويلفتهم إلى تأمل واقع إخوانهم من حولهم. فالجراح تترف والآهات تتصاعد. وفي ظلال شجر الزيتون تنوح الحمائم لما أصاب المسلمين من تمزّق وتفرّق؛ فأضحى الزيت المبارك لتلك الشجرة دماً يترف من جرحٍ أليم. والعدو الغاشم شرد أهل البلاد من أرضهم، واغتصب بساتينهم؛ فتشردوا في نواحي الأرض، لاجـئين في الخيام، يصارعون نيوب الموت الضارية، ويعانون البرد والجوع والمرض والإذلال.

وللشاعر نفسه قصيدة أخرى يعرض فيها المعاناة التي يحياها أهل فلسـطين، فيحشد في الأبيات صوراً من ممارسات الاحتلال التعسفية، فيقول[1]:

والعدوّ الدخيلُ في كـل شـبرٍ بـثّ فـيكم آذانَـه وعيونَـهْ
يملأُ الأرضَ والفضـاءَ فسـاداً ويغذّي بكـل حقـد جنونَـهْ
كم صغيرٍ ذاق الـردى بيديـه وصغير ما عاد يلقى ((الحنونَـهْ))
وعجوزٍ في عتمةِ الليـلِ باتـت جرحُها يترف الـدماءَ سـخينَهْ
دمروا بيتـها فصـار حطامـاً واستباحوا في حقلهـا زيتونَـهْ
وفتاةٍ عـذراءَ مزّقهـا القيـ ـدُ وكانت رمزَ العفافِ مصونَهْ

(١) في رحاب الأقصى: ٥١-٥٢.

((إن الأرض المعذبة تصرخ لما يجري لها من انتهاك للمقدسات الدينية، والشعب الفلسطيني الأسير يعاني أبشع صور الإرهاب والعنف والظلم))[١].

فالعدو يبث جواسيسه في كل مكان لمقاومة الثورات داخل فلسطين وخارجها. ويصف الشاعر ما فعله اليهود بأهل فلسطين، حيث أعملوا القتل فيهم صغاراً وكباراً، ودمروا البيوت واستولوا على الحقول، وانتهكوا الأعراض.

ويحدثنا الشاعر محمد صيام[٢]. بلسان الوجدان الشعري، عن صور أخرى من صور المعاناة التي يعانيها أهل فلسطين، مقارناً بين الماضي السعيد والحاضر الأليم: فيقول[٣]:

أنا كان لي في أرض أجْـ ـــدادي منازلُ لا تزال
في القدس في يافا وغزّ ة في الجنوبِ وفي الشمال
حريةً ورضاً وعيـ ـــشاً ناعماً وهدوءَ بال

---

(١) الملف السري الأسود لإسرائيل: ١٠.

(٢) محمد محمود صيام: ولد في الجورة جنوب فلسطين سنة ١٩٣٧م، حصل على الليسانس في اللغة العربية من جامعة القاهرة، وعمل مدرساً لمادة اللغة العربية بمدارس غزة، وفي عام ١٩٦٠م عمل بوزارة التربية والتعليم الكويتية وكيلاً لإدارة إحدى مدارسها الثانوية، ثم عمل مديراً للجامعة الإسلامية في غزة. له عدة دواوين منشورة، انظر شعراء الدعوة الإسلامية: ٦٨/٢-٦٩.

(٣) ميلاد أمة: ٣٧٦. والقصيدة ليست على قافية واحدة في الديوان.

في هذا الإطار الجميل يرسم الشاعر صورة الماضي السعيد حيث العيش الرغيد والحياة الآمنة العزيزة على تراب الوطن الغالي؛ ليبرز في المقابل صورة الحاضر الأليم، إذ يقول[١]:

ثم استدار لنا الزما … نُ وأمعنتْ فينا الليال
نفياً وتشريداً وطعـ … ـناً بالأسنةِ والنّصال

* * *

وتكاتفت من كل أنْـ … ـحاء الوجود قوى التحدي
تنوي الشرورَ بشعبنا الـ … ـغالي بإصرارٍ وجدٍّ
فمضت وهذا الشعب غير … مصدق أو مستعدٍّ
تجتثّه من أرضه … بضراوة الخصمِ الألدِّ
وانهالت الأمدادُ تـ … ـدْعمُهنّ مَدّاً بعد مدِّ
خلقٌ وأعتدةٌ وأمـ … ـوالٌ بلا حصرٍ وعدِّ

تلك هي الحال التي آلت إليها حياة الشاعر في موطنه، فالخطوب تتوالى والمصائب تترى، والعدو يفتك بأهل فلسطين نفياً وتشريداً وقتلاً، تسانده في ذلك ((قوى التحدي)) في الشرق والغرب.

وفي قصيدة ((وامعتصماه)) للشاعر كمال رشيد[٢]، يستغيث الشاعر بأبناء الأمة علّهم يستجيبون لنصرة الشعب المستضعف المظلوم، كما استجاب المعتصم

---

(١) ميلاد أمة: ٣٧٦.

(٢) كمال عبد الرحيم رشيد: ولد في بلدة الخيرية التابعة لمدينة يافا في فلسطين عام ١٩٤١م، ونزح إلى نابلس عام ١٩٤٨م، وفي عام ١٩٦٧م نزح إلى عمّان، أتمّ دراسته الجامعية في دمشق، ثم نال دبلوم الدراسات العليا في اللغة العربية من جامعة محمد الخامس في الرباط، عمل في حقل التدريس ثم عضواً في مديرية المناهج في وزارة التربية الأردنية، له عدة دواوين وكتب للأطفال. انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ١٨٣.

لصرخة الاستغاثة من تلك المرأة العربية الأسيرة. ومن خلال هذه المقارنة المؤثرة يعرض الشاعر صورة المعاناة، إذ يقول[١]:

أنا في مدارِ الشمسِ كانت وقفتي ... والفجرُ والأمجادُ مـلءُ إهـابي
أنا في عرين الأُسد كانت جلستي ... ومع السنين الغيدِ ضاع شـبابي
كنا وقد ساد الجـدودُ بسـالف ... زان الوجـودَ بفكـرِه الوثّـابِ
بعقيـدةٍ غـراءَ تجمـع أمـةً ... للظى المعاركِ أو سـنا المحـرابِ
وإذا دعتْنا الحربُ كنـا أهلَهـا ... والثأرُ كان لنا أصـحَّ جـوابِ
صاحت فتاةٌ فاستجاب خليفـةٌ ... لبيـكِ إني للمعـاركِ صـابي
واليـومَ كـل نسـائِنا نَادَيْنَنـا ... أين الرجالُ وأين أُسدُ الغـابِ؟

ثم يصور الشاعر أوضاع أهل فلسطين، وحياتهم في ظل الاحتلال، متسائلاً عن سبب الخنوع والاستكانة من أبناء الأمة وهم يَرَوْن هذا الواقع الأليم[٢]:

ماذا دهى الصيدَ الأباةَ وقد غدتْ ... أوطانُهم للخصمِ كالأسـلابِ؟
والأهلُ أضحَوْا في الخيامِ سيوفُهم ... خُشْبٌ وفي الأوطانِ صوتُ عذابِ
الخصمُ يمرحُ في البلادِ ويزدهـي ... ويعيش أهلُ الأرضِ كـالأغرابِ
تتّابعُ الأحـداثُ في بلـدي ولا ... حدثٌ يعيدُ كـرامتي وشـبابي
والعابثون بأرضِنا كُثْـرٌ ولـ ... ـكنّ الأمورَ تسيرُ دون حسابِ

---

(١) شدو الغرباء: ٢٩.

(٢) شدو الغرباء: ٢٩.

وبأسلوب المقارنة بين الماضي والحاضر يعرض الشاعر المغربي محمد المنتصر الريسوني[(١)] صور المأساة في قصيدته ((الغد الزاحف)) فيقول[(٢)]:

بكي شعراءُ العرب رسمَ الفواطمِ فأجّت بذكراهم مشاعرُ هائمِ
أقلّ مناهم خافقٌ رقّ عمقه لنجوى طيوف مشرقات نواعمِ
وأبكي وملءُ النفسِ غضبةُ خالدٍ معاهدَ كانت رائداتِ المكارمِ

وينتقل الشاعر بعد هذه ((التوطئة التقليدية)) إلى الحاضر الأليم في الأرض المباركة، وما يعانيه أهلها، وصدى هذه المعاناة في نفسه[(٣)].

فلسطينُ مذ شعّ الضياءُ بناظري منىً تجتلي فخراً بساحِ الغمائمِ
شببتُ وأنّاتُ اليتامى ترجُّني ويرمضُ أغواري لهيبُ المظالمِ
ويُعوِل في قلبي شتيتٌ من الأسى فأطوي جناحي ساهداً جدّ ساهمِ
فلسطينُ في نفسي أريج تولّهٍ يعانق أحلامي بنشوةِ حالم

يظهر في القصيدة أثر المأساة في نفس الشاعر حيث تهزه أنّات اليتامى، ويحرقه لهيب المظالم، مما يسلمه إلى حالة من السهاد والحزن العميق.

ويحدثنا الشاعر شريف قاسم[(٤)] عن معاناة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال

---

(١) محمد المنتصر الريسوني: ولد بمدينة تطوان في المغرب عام ١٩٤١م، ودرس على والده العلوم العربية والإسلامية، ثم درس في جامعة الرباط، وزاول التدريس ثم الإرشاد التربوي، ثم أصبح عضواً بلجنة التأليف بوزارة التعليم، ثم أستاذاً متفرغاً للبحث العلمي، رأس تحرير صحيفة النور الإسلامية. له بحوث ومقالات ودواوين عديدة. تُرجم له من أوراق مرسلة من الشاعر نفسه.

(٢) صحيفة النور: ١٥- ذي القعدة- ١٤٠٤هـ- ص٤، وهي صحيفة يومية مغربية كان يرأس تحريرها الشاعر نفسه.

(٣) صحيفة النور: ١٥- ذي القعدة- ١٤٠٤هـ، ص٤.

(٤) شريف الحاج قاسم: ولد في مدينة دير الزور في سورية عام ١٩٤١م، ثم انتقل إلى دار المعلمين بمدينة حلب، وتخرج منها معلماً وعمل في مهنة التدريس بدير الزور، ثم انتقل إلى السعودية ليعمل فيها ومازال. كان خطيباً إلى جانب عمله في التعليم، ونُشرت له عدة دواوين. انظر مختارات من الشعر الإسلامي: ١٦٥.

الغاشم، وأثر ذلك في نفسه. حيث شغله الخطب، واستبد به الكــرب، وأقــضّ مضجعه المصاب(١):

طمى الخطبُ فاستهوى إجابتَه السُّؤلُ ... وللفكر محــرابٌ إذا أقبــل الليــلُ
خليليَّ إخواني فقد جلّ خطــبُهم ... وشغلي بأفكاري عليهم هو الشغلُ
وشعري على شطآن كلّ مصــيبةٍ ... حنينٌ جرى كالفيضِ يدفِق أو مهلُ
ووالله ما كنتُ النؤومَ وصــوتُهم ... يئِن بصدري إذ يــؤرقُني الهــولُ
أُخُوَّتنــا في الله أقــوى وشــيجةً ... بغير عُراها ما لنا في الورى حــولُ
طمى السيلُ بل لجّ الطغاةُ ببغــيِهم ... على أمة الإسلام واحتدم الثّكــلُ
وذابت قلــوبُ المــؤمنين كآبــةً ... يمزقهــا كــربٌ ويُثقلُهــا حمــلُ

ثم يلتفت الشاعر إلى الأمة المتخاذلة، مستنكراً تقاعسها واســتكانتها أمام الأهوال التي يعانيها أهل فلسطين، ويحذرها من مغبة هــذا الصــمت الطويل(٢):

وهدّت فؤوسُ الكافرين بأرضــنا ... معاقلَ ساموُها الهوانَ وما مَلّــوا
ونشكو ونبكي كلَّ يوم مــذابحاً ... ونشجبُ إجرامَ البغاة وقد نسلو
فآهٍ على قومي ولهفــي علــيهمُ ... وعيني علــيهم بالمــدامع تنــهلُّ
وهذي القوافي من سنين طويلــةٍ ... بآلامهم دون النوائــبِ تخضــلُّ
هي المحنُ الكبرى تمــوج وإنهــا ... لنا نذرٌ حتى تقــومَ بهــا الخيــلُ

(١) صدى وذكرى: ٥٥-٥٦.

(٢) المرجع السابق: ٥٦.

ويستحضر الشاعر محمود مفلح[١] صورة مشرقة لبلاده، وقد عـمّ فيها السلام، وأطلق صوت الأذان حراً طليقاً، والتقى الأهل الغرباء المشتتون في نواحي الأرض، وعاد المصلّون إلى الأقصى آمنين مطمئنين. والزيتون عاد ((يفوح مسكاً وطيباً)). فانتهى الظلام وأسفر الفجر، وعاد أبناء الأرض إلى أراضيهم فاستقبلهم شجر الليمون ((حبيباً يضم شعباً حبيباً)) حيث يقول[٢]:

أصحيحٌ ما قيل يا بلدَ الطهـ ـر بأن السلامَ صار قريبا؟
أصحيحٌ أن المآذنَ أضحتْ حرّةً تطلق النداءَ الحبيبا؟
وبأن الصديقَ يلقى صديقاً وبأن القريبَ يلقى القريبا؟!
والمصلّون ينعَمُون لدى الأقـ ـصى عيوناً قريرةً وقلوبا؟
وبأن الزيتونَ صار طليقاً في الروابي يفوح مسكاً وطيبا
والظلامُ الذي أناخَ علينا قد رماه ((الهمامُ)) سهماً مصيباً؟
أصحيحٌ يا قدسُ أن بنيك الـ آن عادوا يسابقون الدروبا؟
وبأن الليمونَ نحوهمُ يسـ ـعى حبيباً يضم شعباً حبيبا؟

ولكن الشاعر سرعان ما يصحو من هذا الحلم البديع؛ ليواجه الواقع المرير، فيقول[٣]:

إنني أُرسل الكلامَ وأدري أن فيما أقول شكّاً مريبا
إنها نوبةٌ من العشقِ تعرو ني فأُزْجي كلاميَ المحبوبا
أيُّ نصرٍ ولست أسمع قصفاً أو هديراً ولا رأيت لهيبا؟!

---

(١) محمود مفلح: ولد في بلدة سمخ في فلسطين عام ١٩٤٣م، واضطر للتروح إلى سورية، فعاش في مدينة درعا، ونال شهادة الإجازة (الليسانس) في اللغة العربية من جامعة دمشق عام ١٩٦٧م، ثم عمل مدرساً في المغرب، وبعدها سافر إلى السعودية وعمل فيها موجهاً تربوياً. نشر عدة دواوين ومجموعات قصصية، انظر مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٢٢٨.

(٢) الراية: ٢٤-٢٥.

(٣) المرجع السابق: ٢٥.

أيُّ نصرٍ ومخلبُ الذئبِ أدمـى جبهةَ العدلِ واستباح الشعوبا؟!
أيُّ سلمٍ هذا الذي تـرك النّـا س شتاتاً وجرحهم مصـلوبا؟!
أيُّ سلمٍ هذا الذي أمكن البغـ ـيَ ونمّى أظفـارَه والنيوبـا؟!

يصور الشاعر المعاناة التي تحياها بلاده من خلال تلك التساؤلات الحزينـة الـتي بددت معالم تلك الصورة الحالمة التي رسمها في الأبيات السابقة. فأيّ نصرٍ يكون بـلا حرب تبيد العدو وتشعل لهيب الثورة؟ وأيّ نصرٍ والذئاب ينشرون الفساد والإرهاب في كل مكان؟ وأيّ سلمٍ يكون مع العدو، وقد شتت أبناء الأرض عـن أرضـهم، وجراحهم ما تزال نازفة؟. وأي سلم وأظفار البغي ونيوبه تنمو بمرور الوقت؟.

وفي قصيدة أشجان الإسلام يحدثنا الشاعر صالح الجيتاوي(١) عـن صـور أخرى للمأساة فيقول(٢):

لا تسألِ العينَ فيم الدمعُ هتّـانُ طغتْ على القلبِ آلامٌ وأحـزانُ
انظر إلى دولةِ الإسلامِ قد طُمست أركانُها وانبرتْ للكفرِ أركـانُ
أنصِتْ فكم أنّة للقدسِ ليس لهـا خلال قهقهـةِ الأعـداءِ تبيـانُ
الحكم جَوْرٌ وحرُّ القـومِ غيّبـه سجنٌ به من صنوفِ القهر ألوانُ
البرّ أقفـرَ والأرحـامُ ضـائعةٌ يشـكو إلى الله آبـاءٌ وإخـوانُ
والقدسُ ترسلُ أنّـاتٍ مقطعـةً تمضي هباءً. فما في القومِ من كانوا

---

(١) صالح عبد الله الجيتاوي: ولد عام ١٩٤٣م في قرية غرب مدينة نابلس بفلسـطين ودرس في مصر بكلية الهندسة في جامعة القاهرة، ثم عمل بوزارة الأشغال العامة في الأردن، ثم أنشـأ مكتباً هندسياً خاصاً في عمّان. له نشاط أدبي واسع، وله ديوان مطبوع، انظر شعراء الدعوة: ١٠/٦٣-٦٤.

(٢) صدى الصحراء: ٨٨-٨٩.

يرثي الجيتاوي في هذه القصيدة دولة الإسلام وعزة المسلمين في ديار الإسلام التي تسلط عليها الأعداء. وقد تأثر فيها بقصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء الأندلس والتي يقول فيها[١]:

لكل شيءٍ إذا ما تمّ نقصانُ ... فلا يُغرُّ بطيبِ العيشِ إنسانُ
هي الأمورُ كما شاهدتُها دولٌ ... من سرّه زمنٌ ساءتْه أزمانُ
تبكي الحنيفيةُ البيضاءُ من أسفٍ ... كما بكى لفراقِ الإلفِ هَيْمانُ
على ديارٍ من الإسلامِ خاليةٍ ... قد أقفرت ولها بالكفرِ عمرانُ

نرى في قصيدة الجيتاوي جمرات من الحرقة والألم على واقع الأمة وما أصابها من كوارث ونكبات، فيبوح بكل ما في قلبه من حسرة وقهر ولوعة على دولة الإسلام التي طمست أركانها وشيدت فيها أركان الكفر. وللقدس أنين لا يُسمع، فقد طغت عليه ضحكات البغاة. والظلم هو المسيطر، والأحرار في غياهب السجون يعذبون، أما الإخوان فالأرحام ضائعة بينهم.

وفي ذلك تعريض بالمتخاذلين عن نصرة إخوانهم في الأرض المحتلة، في حين يسوق العدو هؤلاء الإخوان إلى المجازر ظلماً وعدواناً.

ويصور الشاعر نفسه في قصيدة أخرى ما حلّ بفلسطين وشعبها من أنواع المصائب التي تزداد بتعاقب السنين، ولا من يمسح الدموع، وما لهم إلا الأحلام والأماني التي سرعان ما تتبدد أمام الواقع المرير، يقول[٢]:

---

(١) صدى الصحراء: ٨٩.

(٢) صدى الصحراء: ١١٢.

تمضـــي الســـنونَ ونحـــن في ... مُـــرِّ المصـــائبِ نـــرزحُ
أحزانُنـــا لا تنتـــهي ... ودموعُنـــا لا تُمسَـــحُ
تُمســـي وآمـــالُ المسيـــ ... ـــرةِ روضـــةٌ تتفـــتّحُ
فتعـــودُ غصّـــةَ خيبـــةٍ ... وندامـــةٍ إذ نُصـــبِحُ

ويقول الشاعر عدنان النحوي(١) من قصيدة له يصف بعض ملامح المعاناة في ظل الاحتلال الغاشم(٢):

وتلفّت الأقصـى لمكّـةَ لوعـةً ... أختاه! تنهش أضـلعي الغربـانُ
أختاه! وانقطعَتْ حبـالُ ندائِـه ... واغرورقَتْ من دمعِه الأجفـانُ
وهوت معاولُ كي تدقَّ حياضَه ... وهوتْ على أمجـادِه الجـدرانُ

يربط الشاعر في الأبيات بين المسجد الأقصى القبلة الأولى، ومكة حيث القبلة الثانية، فيرسم لنا لوحةً داميةً تصور الأقصى يشكو ما حلّ به من كرب وبلاء إلى مكة التي تربط بينها وبينه رابطة القداسة، ويبحث الأقصى عن أبناء الإسلام فهم كثر ولكنهم كغُثاء السيل، يعيشون في هوان لا هيبةَ لهم في عيون

---

(١) عدنان علي رضا النحوي: ولد في صفد في فلسطين عام ١٩٢٨م، سعودي الجنسية، نزح سنة ١٩٤٨م إلى دمشق، حيث عمل مدرساً ثم عمل في الكويت، ثم سافر إلى مصر، ودرس الهندسة الكهربائية، ثم عاد إلى سورية وعمل مديراً للإذاعة في حمص، ومنها إلى السعودية حيث يقيم الآن، له دراسات في الأدب والفكر الإسلامي وعدة دواوين شعرية، انظر مدرسة بدر وشعراؤها: ٦٣-٦٤.

(٢) الأرض المباركة: ١٤٩.

الأمم، ويواصل الأقصى نداءه، إلاّ أنّ الألم والدموع تغلبه. ويد العدو الآثمة تسلط معاولها لتدكّ أركانه وتدمر فيه تاريخ الإسلام المجيد.

ويلتقي الشاعر محيي الدين عطية(١) مع الشعراء السابقين في وصف ملامح المأساة، إذ يقول في رسالة يوجهها إلى الحجيج(٢):

يا حاديَ العيسِ هل في الركبِ مستمعُ
لزفرةٍ في حنايا الصدرِ تصطرعُ

ويمضي الشاعر بعد هذه المقدمة -التي نسمع فيها صوت الشاعر الجاهلي حين وقف واستوقف- فيوجه دموعاً حارة من مكة إلى بيت المقدس في موسم الحج، حيث الحجاج يرفعون أكفهم بالدعاء إلى ربهم، وقد اختلطت مشاعر الفرحة والحزن، الفرحة بملايين المسلمين المجتمعين من أرجاء الأرض، والحزن لعجزهم عن إنقاذ مقدساهم. فيقول(٣):

هذا هو المسجدُ الأقصى ويا لهفي ... تبكي به الصلواتُ الخمسُ والجمعُ
يا مَنْ تطوفُ وتسعى رُبَّ تذكرة ... تُذكي بجنبيْكَ مثل النارِ تصطرعُ
كم جاء يسألني الأبناءُ قصتَنا ... ويلحفون وفي أبصارِهم هَلَعُ

(١) محيي الدين عطية محمد: شاعر وكاتب إسلامي، ولد في القاهرة عام ١٩٣٤م، ودرس حتى حصل على البكالوريوس والدبلوم في التجارة وعمل ناشراً للكتب والدراسات المختلفة في دار البحوث العلمية في الكويت، له عدة دراسات ودواوين شعرية. انظر مختارات من الشعر الحديث: ١٠٦.

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية: ٢١/٦.

(٣) المرجع السابق: ٢١/٦-٢٢.

الدينُ يُهدَر والأعراضُ قد سُلِبَتْ ولا يُرى في سجلّ الغدرِ مرتدعُ
ساقوا العجائزَ والأطفالَ مغنمــةً ومن أبي الضَيمَ فالأكفانُ تبتلــعُ

إن الأقصى السليب يفتقد المصلين، ويذكر الشاعر الحجيج بمأساة إخــوانهم في الأرض المقدسة. ويجيب السائل عن مأساهم فيقول: إن الدين قــد أهــين، والحرمات استبيحت. فالعدو الغادر لا يجد من يصده؛ فلم يتورع عــن إلحــاق الأذى حتى بالعجائز والأطفال، وإذا ما حاولوا المقاومة ((فالأكفان تبتلع)).

ويمضي الشاعر في ذكر الجرائم التي تقترفها الأيدي الآثمة فيعلن[(١)]:

إن المساجدَ قد دُكّــتْ مآذنُهــا وقام في أرضِها للفســقِ مجتمــعُ
إن المحاريبَ أضحتْ بعد نكبتِها مخادعاً لفنــون العشــقِ تتّســعُ
إن الملايينَ منّا ضــمّهم كفــنٌ من الخيامِ فــلا رِيٌّ ولا شــبَعُ

لم تسلم المساجد ومحاريبها من عربدة المجرمين؛ فدكّوا مآذنها وعاثوا فيهــا فساداً وإفساداً، وشرَّدوا أهل البلاد واضطهدوهم، ولم يجدوا في ذلك ريّــاً ولا امتلاءً لنهمهم الحاقد على الإسلام وأهله.

* * *

أما الفكرة الثانية التي دارت حولها القصائد في هذا الموضوع فهي: الــدعوة إلى الجهاد لتحرير الديار، والتحريض على الصمود في وجــه العــدو الغاشــم، والتفاؤل بغدٍ مشرق. فقوة الإيمان وعزة المؤمن تأبيان له القنوط، فلا بد للّيل أن ينجلي وينبثق الفجر، ويملأ الدنيا بالأنوار. فأمتنا باقٍ فيها الخير إلى يوم القيامة.

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ٦/٢٣.

ومن هنا نجد الشاعر يوسف العظم بعد الظلال القاتمة التي غمرت قصيدته[١] يستثير مواطن القوة في الأمة، ويذكّرها بماضيها المجيد الزاخر بالانتصارات التي سجلها التاريخ في بيض صفحاته. فصيحة ((الله أكبر)) ((كم دانت لها أمم!)) وكم من أرض رُفع فيها لواء الإسلام يوم كان المسلم المجاهد يعتصم بحبل الله. والقدس تبحث عن صلاح الدين؛ ليفتك باليهود في حطين كما قضى على الصليبيين في تلك المعركة المجيدة. ثم يؤكد الشاعر أن المسلم سيظل على العهد؛ ولن ينسى فلسطين. بل سيترقب اليوم الذي ينتصر فيه لكرامته ومقدساته، ويقضي على الطواغيت. يقول[٢]:

يا ويحَ قومي قد لانَتْ قناتُهمُ ... وقد وعى الكونُ والتاريخُ عزَّهُمُ
إلى متى نرتضي ذُلاًّ يُؤرِّقُنا ... فلينطقِ السيفُ وليهتفْ بنا القلَمُ
لتستجيب قلوبٌ بالهدى خفقتْ ... ((اللهُ أكبرُ)) كم دانت لها أمَمُ!
وكم رفعنا منـاراتٍ وألويةً ... وكم زحفنا بحبلِ الله نعتصمُ
يا قدسُ أين صلاحُ الدينِ يبعثُها ... حطينَ تفتكُ بالباغين ويلَهُمُ؟
إنّا على العهدِ لن ننساكِ فانتظري ... يوماً يخرّ له الطاغوتُ والصنمُ

وفي القصيدة الثانية[٣] للشاعر نجد أنه بعد عرضه لصور المحنة يعلو صوت الشاعر في نداء من ((فتى ثائر يذوب جراحاً))[٤]:

---

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ٨٢.

(٢) في رحاب الأقصى: ٦٨.

(٣) المرجع السابق ص٨٣.

(٤) في رحاب الأقصى: ٥٣.

وفتى ثائرٌ يذوب جراحاً ... هجر النومُ والنعاسُ جفونَهْ
من لظى جرحِه يصوغُ نداءً ... علّ قوماً تخاذلوا يسمعونَهْ
يا حماةَ الأقصى الجريح أفيقوا ... أين أقصاكُم الذي تحمونَهْ؟!

وحين نمضي مع الشاعر في قصيدته نراه يعبر من الحاضر المرير إلى الماضي الوضيء ليربط بينهما معاً، ويراهما كُلاًّ متَّصلاً، خلاف ما يراه المهزومون، بأنه ماضٍ غابر انقطعت بيننا وبينه الأسباب(١).

فها هو ذا يقول(٢):

هزَّني الشوقُ للكتائبِ تُعلي ... رايةَ الفتحِ في الأكفِّ الأمينهْ
تنهلُ المجدَ عزةً وفخاراً ... من سنا مكةَ ونورِ المدينهْ
والرسولُ العظيمُ في صحبه الغُرّ ... فداءً وهيبةً وسكينهْ
قاد جندَ الرحمنِ عزماً وحزماً ... وسيوفاً بتّارةً مسنونهْ
لَكأني بمسجدِ القدس يدعو ... وينادي أما سمعتم أنينهْ؟
أين سعدٌ وخالدٌ والمثنى؟ ... كلهم بالدماءِ ينصرُ دينهْ
والسرايا يقودها ابنُ زياد ... ركبَ البحرَ لا يهاب سفينهْ
وصلاحٌ كغرّةِ الصبحِ يرجو ... أن تعيدوا وتبعثوا حطّينهْ

فهو يستحضر في ذهنه صورة لكتائب الجهاد المؤمنة ترفع راية الفتح حريصة عليها أمينة، ويرسم أمامنا هذه الصورة بكل دقائقها وتفاصيلها، فإذا بالخطوط العريضة لها تنبيء أن هؤلاء البررة إنما يستمدّون عزيمتهم وقوتهم من سنا النور

(١) انظر في الأدب الإسلامي المعاصر دراسة وتطبيق: ١١٧.

(٢) في رحاب الأقصى: ٥٤-٥٥.

الإلهي الذي انبثق في هذه الأرض الطاهرة فملأ القلوب يقيناً وغمرها الإيمان وغذاها بالتفاني في سبيل الله، وهم في كل ذلك ينظرون إلى غزوات الرسول يقدم فيها جنده يشحذ عزائمهم ويشد أزرهم. وسرعان ما تتلاشى خطوط هذه الصورة الزاهية حين يصحو الشاعر على حقيقة واقع الأمة، ينبّهه أنين الأقصى الواقع في قبضة الأعداء، ويتلفت من حوله فلا يجد أولئكم الأبطال الصناديد الذين سطروا بدمائهم سيرة المجد والعلا. واأسفاه لقد اختفت تلك الغزوات والسرايا وغاب أعلامها الغرّ الميامين الذين حملوا النور شرقاً وغرباً ومدّوا الديار الإسلامية من أقصى خراسان إلى قلب أوربا في الأندلس وأرسوا أركان العقيدة في معارك فاصلة كحطين وحملة طارق، فمن للأقصى ينقذه من محنته الجديدة؟!.

أما الشاعر محمد المنتصر الريسوني فبعد أن عرض صورة الحاضر الأليم وأثره في نفسه نجده برغم ذلك يرى بيارق النصر تخفق من بعيد، حين يهبّ جند محمد للفتح بتأييد الله عزّ وجل. يقول[1]:

فلسطينُ ثأرٌ أطلق السخط فارساً ... يصوغُ الأماني من شفارِ الصوارمِ
وأقسمَ أن يُرسي بيارقَ نصرِهِ ... على جثثِ القتلى وتلّ الجماجمِ
سيفتحُها بالله جندُ مُحمدٍ ... بناةُ المعالي الغرّ، هوجُ العزائمِ

وبعد أن عرض الشاعر صالح الجيتاوي ألواناً من المآسي التي يعيشها أهل فلسطين، يعلن أن الطريق الوحيد إلى النصر إنما يكون بالعودة إلى الله، والأخذ

(١) صحيفة النور: ١٥- ذي القعدة ١٤٠٤هـ، ص٤.

بأسباب النصر. ويشير إشارةً موجزةً إلى التاريخ ويستجلي حقيقة الانتصارات الإسلامية العظيمة، إذ لا عزة إلا بالإيمان. فيقول[١]:

يا أمَّتي هل لهذا الليلِ آخرةٌ … وهل لهذا الأسى والذلِّ فرقانُ
عُودي إلى الله عَوْداً مخلصاً ودعي … مواردَ الكفرِ، إن الكفرَ خسرانُ
ومحّصي الدرسَ من تاريخِنا تجدي … (العزُّ ما كانَ إلا كانَ إيمانُ)

وفي قصيدة ((رسالة إلى الحجيج)) -التي أودعها الشاعر محيي الدين عطية لوحات دامية من المعاناة التي يحياها أبناء الأرض المحتلة- يطلق الشاعر صيحةً مدويةً من أعماق قلبه المكتوي بنار الحزن والأسى. فيقول[٢]:

هيّا ابدؤوا ثورةَ الأحرارِ وانطلقوا … إلى المسيرةِ إنّا كلّنا تَبَعُ
ماذا لوِ انتفضتْ أفواجُكم حِمَماً … تُجدِّدُ العهدَ والنيرانُ تندلِعُ
يا ربِّ هذي قلوبُ المسلمين أتتْ … إلى حياضِكَ ظمأى كلُّها طمَعُ
فلا تخيِّبْ رجاءً أنت باعثُه … ولا تنكّسْ لواءً فيكَ يرتفِعُ
واغفر هناتي فعذري أن لي قلماً … يقتاتُ قلبي ومن عينيَّ يرتضِعُ
أُزجي قريضي من الأعماقِ أنزِفُه … حتى أرى الخِنجرَ المسمومَ يقتلِعُ

يستنهض الشاعر همم أبناء الأمة، ويشحذ عزائمهم، ويثير حفيظتهم كي لا يستكينوا إلى الراحة والدعة. بل ينتفضوا في وجه الطغاة ليدفعوا هذا البلاء الذي داهمهم، ويهبّوا بعَددهم وعُددهم لإنقاذ فلسطين من الفئة الباغية. ويبتهل شاعرنا إلى الله بأن يروي قلوب المسلمين الصادية ولا يخيب رجاءهم، ويمنّ عليهم

---

(١) صدى الصحراء: ٩٣.

(٢) شعراء الدعوة: ٦/٩٠.

obeikandl.com

بالنصر، ويرفع لواءهم، ويدعو الله أن يغفر ذنوبه. ويعتذر إليه بأن قلمه يمتاح مداده من قلبه النازف، وعينه الدامعة. فيزجي القريض إلى أن يأذن رب العالمين باقتلاع الخنجر المسموم المغروس في صدر الأمة.

وعلى هذا النحو كان شعر المعاناة مركّزاً في معظمه على الوصف المؤثر للمأساة، ولمظاهر الإرهاب الصهيوني، مستثيراً بذلك الحميّة ومستنهضاً الهمم ليوم الثأر.

وإذا أجلنا النظر في طريقة تناول الشعراء لهذا الموضوع؛ نلفي بعضهم يكتفي بوصف مظاهر المعاناة، والإشارة إلى الممارسات التعسفية للعدو. في حين يقارن آخرون بين الماضي المجيد والحاضر الأليم. ويركّز بعضهم الآخر على صدى المأساة وأثرها النفسي ومعاناته الذاتية. ولا شك أن في ذلك كله عطاءات شعورية ورصيداً معنوياً ثائراً تحتاجه الأمة زاداً في طريقها نحو الغد الحرّ المشرق.

المبحث الثالث

مأساة النزوح ومشاعر الحنين والغربة

تمخضت هزيمة حزيران ١٩٦٧م عن نتائج خطيرة على القضية الفلسطينية منها: نزوح أعداد كبيرة من الفلسطينيين من أراضيهم. وهذا يمثل النزوح الثاني في مدى عشرين عاماً، فقد نزح من بلغ عددهم (١,٣١٧,٧٤٩) نسمة بعد نكبة ١٩٤٨م، وبعد هزيمة حزيران ١٩٦٧م نزح نحو (١,٨٥٨,٠٠٠)[١] نسمة هرباً من الإرهاب الصهيوني، ولينجوا بأهلهم من المذابح ونسف البيوت والتنكيل والتقتيل. فخرجت هذه الجموع التي ساقها الرعب والاضطهاد هائمةً على وجهها، وسكنت القرى والمدن والأراضي المجاورة ليس معها ما يكفيها الكفاف. وعاشت السنين تجتر ذكرياتها العزيزة في مرابع الوطن. وعاش عدد كبير من هؤلاء النازحين يحيون ظروفاً معيشيةً قاسيةً، في خيامٍ مهلهلةٍ ممزقةٍ أو أكواخ بائسة غير صحية أو في المغاور والكهوف. أما وكالة الغوث الدولية -التي أوكل إليها مهمة الإشراف على أحوال اللاجئين- فلم تقدم لأولئك اللاجئين ما يقيم أودهم.

هذه الصورة القاتمة تزداد حلكةً عندما نعلم أن هؤلاء اللاجئين قد خلفوا ممتلكاتهم وثرواتهم يتمتع بها الغاصبون. إنه أمر يَشْدَهُ العقل ويذهب الصواب أن تتضور جوعاً والغاصب يتمتع بما تملك أمام ناظريك فلا تملك له دفعاً[٢].

---

(١) لا تشمل هذه الأرقام النازحين الذين أعالوا أنفسهم بعملهم، ونسبتهم حسب إحصاءات الأمم المتحدة ٢٠% من مجموع النازحين، انظر أطلس الصراع العربي الصهيوني: ٤٨.

(٢) انظر المرجع والصفحة نفسها، وانظر القضية الفلسطينية: ١١٦-١٢٣.

ونتيجة لما تقدم اهتزت النفوس الشاعرة تصور مأساة أولئـك النـازحين، وتصرخ في الضمائر لتبعث روح التوثّب والثورة والصمود لتحقيق الآمال في غدٍ مشرقٍ وحياةٍ حرةٍ كريمةٍ.

وفي مقدمة الشعراء الذين وقفوا طويلاً على هذا الجرح الشاعر أحمد محمـد الصديق، فقال[١]:

من وجهِـكَ تطْلـعُ أقمـاري   وجمالُـك مبعـثُ أشـعاري
يـا وطـني يـا عـينَ الـدنيا   يـا هـاجسَ ليلـي ونهـاري
فتشـتُ كنـوزَ الأرضِ فمـا   ألفيـتُ بـديلاً عـن داري
أشـواقي أسـرابُ طيـورٍ   عائـدةٍ تحـت الأمطـارِ
وحنـيني موقـدُ أحـزانٍ   حـرّى تتـوهجُ كالنـار

يوجه الشاعر حديثه إلى وطنه الذي أمضّه الحنين إليه، فيراه عـين الـدنيا وهاجسه ليل نهار. فليس للوطن بديل أغلى عند الإنسان.

ثم يشرع الشاعر في ذكر مواضع من بلاده (حيفا واللد وبئـر السـبع والقدس والأقصى) حيث فتحت سيوف الأجداد هذه المواضع، وحيث الآيات كتبت بالدماء الزكية التي قاتلت الفُجّار هناك، فسطرت أخبارها في قلـب الشمس، وعانقت أنفاس الشهداء الطاهرة؛ لتوقد نـار الثـورة في قلـوب الأحرار. يقول[٢]:

(١) قادمون مع الفجر: ٧١.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

حيفا واللدّ وبئرُ السبْـ ـبعِ وكلُّ سفوحِ الأغوارِ
والقدسُ ومسجدُها الأقصى وسيوفُ جدودي الأخيارِ
وروائع آياتٍ كُتبتْ بدمٍ قدسيِّ الأنوارِ
في قلبِ الشمسِ مسطرةٌ تتحدى ليلَ الفجارِ
وتعانق أنفاسَ الشهدا ءِ تغذّي عزمَ الأحرارِ

ويمضي الشاعر في قصيدة أخرى يصور معاناته في الغربة فيقول[1]:

كانوا وكان الحبُّ والأملُ وتفرقوا فالدمعُ ينهملُ
بالأمسِ ولّوْا عن مرابِعهم وتشعبتْ في الغربةِ السبلُ
كلُّ الأحبةِ هاجروا وأنا وحدي هنا تنتابُني العللُ
غصصُ التنائي حرّقت كبدي وكأنها في مهجتي شُعَلُ
واحرّ قلبي بعد غيبتِهم في أي أرضٍ يا تُرى نزلوا؟
أطيافُهم في البيتِ تصحبُني وتحفّني النظراتُ والمقلُ
وأُحسُّهم في كلِ زاويةٍ ضمّت خيالاتِ الأُلى رحلوا
وأشمّ أثواباً لهم تُركت من أدمعي في طيِّها بللُ

يبث الشاعر شكواه الموجعة من الوحدة والاغتراب، بعد أن تفرق الأحبة ((وتشعبت في الغربة السبل)) فهو وحيد تنتابه العلل، ويتجرع غصص التنائي التي تحرق كبده، وتشعل الحنين في مهجته. ويتساءل في حيرة وحسرة ((في أي أرض يا ترى نزلوا؟)) وهو يحيا مع أطيافهم، ويحس بوجودهم معه في كل زاوية مما حوله. ويعزّي نفسه بلثم أثوابهم فتبلّلها دموع الشوق إلى لقياهم.

---

(١) المرجع نفسه: ٦٣.

وتُسلمه هذه المشاعر إلى شيء من اليأس، فيرى الأحلام الخضراء وقد اعتراها الذبول، وذوى الزهر على أغصانه، ويد الشاعر ترتعش في وهن، فالحزن ذهب بشبابه.

ثم يبدأ في عرض صورةٍ أليمةٍ لذكرى ديار الأحبة التي تُركت مقفرةً، فالموقد سهَّدَه طولُ النوى والصمت والخوف، وشجيرة الزيتون ذبلت، وملاعب الأطفال موحشة وكذا السفح والجبل. فيقول[1]:

أحلامي الخضـراءُ قـد ذبلـتْ ... والروضُ يلوي زهـرَه الأجـلُ
ويداي ترتعشـان مـن وهـنٍ ... وشـبابي المحـزون يكتـهلُ
الموقـدُ الوسـنانُ سـهّده ... طولُ النّوى والصمتُ والوَجَـلُ
وشـجيرةُ الزيتـون مطرقـةٌ ... والمقعـدُ المهجـورُ يبتـهلُ
وملاعـبُ الأطفـالِ موحشـةٌ ... من بَعـدِهم والسـفحُ والجبـلُ

ويأتي العيد فيعزف فيه الشاعر هذا اللحن الحزين قائلاً[2]:

للهِ كم عـادني هـمٌّ وتسـهيدُ ... فأعولَ الجُرحُ إذ أقبلتَ يا عيـدُ
وكيف يَسعدُ إنسـانٌ بغربتِـه ... يثنيه عن أهلِه ظلـمٌ وتشـريدُ؟!

لا يرى الشاعر للفرحة بالعيد مكاناً في قلبه، وأنّى له الفرحة وهو بعيد عن أهله ووطنه؟.

ثم يبدأ الشاعر في عرض لوحات من مأساة وطنه الذي دنس اليهود طهره،

(١) قادمون مع الفجر: ٦٣-٦٤.

(٢) نداء الحق: ٢٣٣.

وبثّوا الفزع والخوف في قلوب الآمنين، وحوّلوا عيشـهم إلى بـؤس وتنكيـد. فهجروا بلادهم وذبلت زروعهم. ويتساءل في حسرة أي عيد يحسُّ به المشردون في الخيام؟ يقول[1]:

أين الربوعُ التي شعّتْ منائرُها ... طهراً فدنّسها رجسٌ وتهويدُ؟!
والآمنونَ صغارُ الحيّ -وا لَهَفي- ... أنحى على عشِّهم بؤسٌ وتنكيدُ
فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنُهم ... مهجورةً صوّحتْ فيها الأماليدُ
تُرى بأيّ خيامٍ سوف يشملُهم ... يا عيدُ منك ومن آلائك الجودُ؟
وهل تراهم كما كانوا ذوي مرحٍ ... لهم مع العيدِ والحلوى مواعيدُ؟

وبعد أن عرض هذه الصورة الأليمة للواقع البائس، نجده يعرض -في المقابل- صورة الماضي السعيد في مرابع الوطن ومجالي الطفولة والصبا حيث المرح والحلوى والأفراح والزغاريد في العيد، وحيث الأناشيد تحدو الأراجيح، وتلبس الغيد الحلل الجميلة. ويعود للتساؤل بتحسر: ((هل تُرى بدلت أثوابها الغيد؟)). يقول[2]:

وأين موكبُ أفراحٍ تظلّلهُ ... حدائقٌ لعلعتْ فيها الزغاريدُ؟
ترنّح الزهرُ تيهاً مثلما رقصتْ ... فيها الأراجيحُ تحدوها الأناشيدُ
وترفل الغيد كالريحان في حلل ... فهل ترى بدلت أثوابها الغيد؟

وفيما يأتي من أبيات يبثّ الشاعر آلامه من خلال مشاعر الأم، إذ يقول[3]:

---

(١) نداء الحق: ٢٣٣.

(٢) المرجع السابق: ٢٣٣-٢٣٤.

(٣) نداء الحق: ٢٣٤.

والأمُّ كيف تراها وهي ســاهرةٌ من لوعةِ الروحِ تنساب المواجيدُ
ترنو إلى حيثُ كان الشملُ ملتئماً بالأمسِ يجمعُه حــبٌّ وتوحيــدُ
القلبُ يذهب أشــتاتاً موزعــةً والفكرُ من وطأةِ الأرزاء مكدودُ

إن مشاعر الأسى والحنين إلى الديار والأحباب تحرق هــذه الأم الملتاعــة؛ فتهيج ذكرى الشمل الملتئم، يجمعه الحب والتلاقي، أما اليوم فالشمل مشــتت، وكذا القلب، والفكر مكدود تحت وطأة الأرزاء.

وفي قصيدة ((قالوا هو العيد)) عزف الشاعر لحناً حزيناً آخر. فقال[1]:

قالوا هو العيدُ قد هلّت بشــائرُهُ وأشرقتْ كالسنا الهادي شعائرُهُ

وبعد هذا المطلع المتفائل يمضي الشاعر في تصوير المأساة[2]:

حللتَ يا عيدُ والعشُّ الحبيبُ كما عهدتَه طلــلاً تبكــي هــواجرُهُ
والشملُ كالريشةِ الحيرى يبعثــرُهُ صرفُ النّوى والعوادي لا تغادرُهُ
تشــعبتْ في بــلادِ الله غربتُــهُ والليلُ كم غوّرت نجماً ديــاجرُهُ
من كان بالشاةِ قد ضحّى ففديتُنا دماءُ شعبٍ بها ســالت مجــازرُهُ
يا عيدُ والقــدسُ آلامٌ مجلجلــةٌ والثأر تنفــث بركانــاً زوافــرُهُ
والأرضُ تجترّ في أحشائها حِمَما ما عاد للحرِّ فيها مــا يحــاذرُهُ
بالصدرِ يستقبل النيرانَ مقتحمــاً لا يرهبُ الموتَ إن دارتْ دوائرُهُ

نلمس في الأبيات ارتباط الشاعر العاطفي بتلك البلاد التي قضى فيها طفولته

---

(١) جراح وكلمات: ٣١.

(٢) المرجع نفسه: ٣٢.

وصباه. فقد أتى العيد وبلده الحبيب ما زال طللاً تبعث معالمه على البكاء والأسى. وتبدّد الشمل كريشة حيرى في مهب رياح النّوى. وتشتّت أهل البلاد مغتربين في نواحي الأرض، ولا نجم يضيء ليلهم الطويل. وتحرق مشاعر الألم والحنين إلى القدس شاعرنا، فيهتف هذا الهتاف الشجيّ: أيها العيد أتيت والقدس مترعة بالآلام، ويدعو أبناءه للثأر كالبركان. فالأرض تمور بالحمم جراء ما يحدث على ظهرها من مآس دامية، والأحرار يتصدون للنيران في إصرار وصمود، ولا يعرف الخوف طريقه إلى قلوبهم.

وفي قصيدة رابعة للشاعر أحمد محمد الصديق وفي أول كلمة ينقل إلينا الشاعر حزنه العميق على وطنه الغالي فيقول(١):

يا ثرانا الحبيب هِجتَ شجوني ودعاني أريجُك الفواحُ
موئلُ الطهرِ والقداسةِ ماذا؟! كيف تكسو سماءك الأتراحُ؟
كيف تشكو فيك المساجدُ هجراً وهواناً تشقى به الأرواحُ؟
المحاريبُ تستغيثُ وقد غا مت رؤاها وأطفىء المصباحُ

هذه هي الأوضاع في وطنه موئل الطهر والقداسة. فالسماء ملبّدة بالأحزان، والمساجد مهجورة تشكو الهوان، والمحاريب تترقب من ينقذها من دنس العدو.

ثم يصور الشاعر مأساة اللجوء والشتات في نواحي الأرض قائلاً(٢):

تلك أوطاننا يعيث بها الطغـ ـيانُ ظلماً وحقّنا مستباحُ
أهلُها ويح أهلِها كالسبايا في فلاة يُغدى بهم ويُراحُ

---

(١) نداء الحق: ٢٤٧.

(٢) المرجع السابق: ٢٤٨.

obeikandi.com

مِزَقٌ في الخيامِ تعدو عليها كل ريحٍ يهيجُ فيها النباحُ
واليتامى وراء كل شهيدٍ صرخاتٌ في الضّيم لا ترتاحُ
فهي بين الخيام تغلي وللبُر كانِ عصفٌ وللّهيب اكتساحُ

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يرسم لنا لوحة دامية للمعاناة والاضطهاد الذي يعانيه أهل بلاده. حيث يعيث الطغاة فيها فساداً وإفساداً، وتستباح الحقوق، وأهل البلاد أسرى لا حول لهم ولا قوة. يسكنون الخيام ويعانون اليتم والضيم والأسى، ويقاسون من لهيب الأحزان القاسية.

وفي مقابل هذه اللوحات الأليمة التي رسمها الشاعر للواقع البائس، نجده يبث روح التفاؤل والأمل في النفوس في القصيدة الأولى(١):

إني أتحسّسُ في صدري طعناتِ الخصمِ الغدارِ
فأرشّ على سفحِ الوادي قطراتِ اللهبِ الموّارِ
كي تنبتَ في الفجرِ الآتي بالحقِّ أكاليلُ الغارِ
وتقود الشعبَ لغايته وتفجّرَ بركانَ الثّارِ
لن تذهبَ أيّامي بَدَداً هبّي يا نقمةَ إعصاري
لن تذبلَ أحلامي أبداً بالنصرِ ستَعقدُ أثماري

لا يستسلم الشاعر لليأس ولا يتردّى في مهاويه، وإنما يجعل من معاناته دافعاً للثورة ذات اللهب الموار. فينظر إلى الفجر القادم في أمل وتفاؤل، ولن تذبل الأحلام بل ستثمر عناقيد النصر المؤزر.

---

(١) قادمون مع الفجر: ٧١-٧٢.

وفي القصيدة الثانية ينظر النظرة المتفائلة ذاتها، قائلاً[١]:

الحـــرُّ لا ينســـى وشـــائجَه | أبداً إذا ما النـــاسُ قـــد غفلـــوا
وطنُ الفتى أغلـــى وإن عـــذبتْ | في غـــيرِه الأمـــواهُ والظلـــلُ
وإذا دعـــا الـــداعي لنصـــرته | ألفيتَـــه كـــالبرقِ يمتثـــلُ

فلا يدع الشاعر الحزن واليأس يتغلب عليه، بل تبدأ صورة الحزن بالتلاشي لتأخذ طابعاً إيجابياً، وتشير إلى التحرك الإيجابي وتظهر بوادر الـدعوة لمسـيرة التحرير. فيرفض الشاعر من أعماقه أن تسرق أرضه أو أن يبقى مشرّداً، ويؤكد تصميمه على الرجوع إلى أرضه. ويردد عبارات ثائرة تعصف بـه لتدفعـه إلى المضيّ نحو أرضه في عزم وثورة وتصميم.

والعزم والتصميم نفسه نجده لدى الشاعر في قصيدته الثالثة. إذ يقول[٢]:

وإنما يقهـر الطغيـانَ معتصـمٌ | بـالله منـتقمٌ لله صـنديدُ
وليس يعمرُ بنيـانٌ لنـا أبـداً | ما لم يكن فيه للأخلاقِ تشـييدُ
نستقبلُ الأمر في عزمٍ وفي ثقـةٍ | والجندُ في ساحةِ الرحمنِ محشـودُ
هناك تعلـو بـدينِ الله رايتُنـا | حقاً ويصـحبُنا عـزٌّ وتمجيـدُ

فالعودة إلى الإسلام والاعتصام بعروة الإيمان الوثيقة هو السـبيل إلى قهـر الطغيان، والعزم والثقة بالله والجهاد في سبيله هي عنوان الفلاح. فتعلو راية الحق ويعود لهذه الأمة سابق عزها ومجدها.

---

(١) قادمون مع الفجر: ٦٥.

(٢) نداء الحق: ٢٣٦.

وفي القصيدة الأخيرة للشاعر ينظر النظرة المتفائلة نفسها، ويعزف اللحن الواعد ذاته. فيقول[١]:

ليت شعري هل نحن كالقدر المحـ ـتومِ بتْنا وكالرّدى نجتاحُ
في انتفاضٍ تصميمُه أذهل الأعْـ ـداء طُرّاً وحارَ فيه الكفاحُ
لا نبالي وإن تلاطمَ بحرٌ من دمانا وهيض منّا الجناحُ
فاعزفي يا بنادقُ النّصرَ حتّى يتجلّى في أرضِنا الإصباحُ

بقوة وعنف يندفع الشاعر لإعطائنا صورة المسلم الثائر، الأمل المنشود للتخلص من الأعداء في انتفاض وإباء وتصميم. فتعزف البنادق ألحان النصر ((ويتجلى في أرضنا الإصباح)).

والشاعر أحمد فرح عقيلان يعبر عن مأساة اللجوء ومشاعر الحنين، في قصيدته ((صورة من المخيم)) فيقول[٢]:

ثكلتُ المنى ودفنتُ الحبيبا وأصبحتُ ما بين قومي غريبا
وصوّح روضُ الشبابِ النضيرِ وحقلُ الأماني أمسى جديبا
وعاد النشيدُ نشيجاً حزينا ولحنُ العنادلِ أمسى نعيبا
فكم غادةٍ كابتسام الجمالِ تكفكفُ دمعاً أبيّاً مهيبا
وكم من يتيم ينادي أباه وهيهات يا ويحه أن يجيبا
وكم مقلةٍ كسوادِ الدّجى تغطي سوادَ الليالي نحيبا
وكم جائعٍ بات يطوي الحشا وقد عاش بالأمسِ عيشاً رحيبا

(١) نداء الحق: ٢٤٩.
(٢) رسالة إلى ليلى: ٨١.

وتلك الخيـامُ بهـا المسـلماتُ طَوين على الهمّ جسـماً سـليبا
فكـم خيمـةٍ لـو تأملتَهـا رأيـت المخبّـأَ قـبراً رهيبـا

ليس هناك شيء يحزّ في النفس أشد من مشاعر الغربة؛ فيشكو الشاعر من ضياع أمانيه وتولي شبابه النضير، فتحوّل صوت النشيد إلى بكاء حزين، وصار غناء العندليب كنعيب البوم. ويشرع الشاعر في رسم لوحات من المعاناة الدامية، فها هنّ أولاء الفتيات يذرفن الدموع الأبيّة، وها هم أولاء اليتامى ينادون آباءهم ولا من مجيب، والعيون السوداء لا تفارقها الدموع، والجياع يطويهم الجوع بعد العيش الرغيد في الوطن السليب. ويصور الشاعر حال المسلمات داخل الخيام وقد سيطرت عليهن الهموم داخل الخيمة بل القبر الرهيب.

ولكن الشاعر مع ذلك يتمسك بأهداب الأمل، ويستنهض همم الإخوة ليهبوا معه للفداء. فبغير الجهاد والفداء لا تحين العودة، يقول(١):

أخي لا تنم بعد هـذا الضـياع وأقبل كليـث يـروم الوثوبـا
أخي لن نعـود بغـيرِ الفـداء فكن عاملاً صـامتاً لا خطيبـا

ويركّز الشاعر فيما يأتي من أبيات على مشاعر الإباء والصمود والعزم التي تغلي في نفوس اللاجئين. إذ يقول(٢):

زعموا بأنّـا في الخيـام بَلينـا وتغـيرتْ أحوالُنـا ونَسـينا
وتوهمـوا أن المخـيّمَ خطـةٌ ستُشيعُ إحسـاسَ الهزيمـةِ فينـا

(١) رسالة إلى ليلى: ٨٤.

(٢) جرح الإباء: ٥٢.

ومضَوا يبثــون الدعايــةَ أننــا في حمأةِ الفقــرِ الشــديدِ فَنينــا
خابوا وربِّ البيتِ إنّــا هاهُنــا مات العــدوّ بغيظِــه وحَيينــا
ما زادنــا التشــريدُ إلا عزمــةً وعقيـــدةً وبطولـــةً ويقينـــا
إنا على رغمِ الشــدائدِ جــوهرٌ لم يُرخِص التشريدُ مــن غالينــا

يعمّق الشاعر في أذهاننا صورة المغترب الصامد رغم ما يحوطه من الأســى وشظف العيش، فمع كل المعاناة التي يحياها في المخيم إلا أنه ما زال عازماً على العودة. والعقيدة تقوّي مشاعر البطولة واليقين بالنصر، فهذا هو جوهره الغــالي الذي لا يضعفه التشتت والاغتراب.

ثم يستلهم الشاعر أمجاد الماضي يوم أن كان المسلمون متمسكين بدينــهم، فدانت لهم الأمم. ويذكّر الشاعر أبناء الأمة بانتصارات القادة الأفذاذ، أمثــال: عماد الدين زنكي فاتح الرها وصلاح الدين بطل حطين. علّهم يحذون حذوهم متضامنين حول رباط الأخوة في الله، وحينها يتحقق النصر. قال[1]:

إســلامنا لا يقبــلُ استســلامَنا اسأل به كســرى وقســطنطينا
واسأل عماد الدين عن حصن الرّها واسأل صلاحَ الدين عن حطينــا
في مكة الغــراء رمــزُ إخائِنــا أبـــداً ينادينـــا لِمـــا يُحيينـــا
لا نصــرَ إلا بالتضــامنِ مبــدأً صـــدقاً وإلا بالحنيفـــةِ دِينـــا

ومن قصيدة ((عيد اللاجئ)) للشاعر نفسه، نلمس أحوال النازحين ومــا يقاسونه من واقع مؤلم. حيث يقول[2]:

(١) جرح الإباء: ٥٤.
(٢) المرجع السابق: ٥٥.

أيّ عيدٍ وقد ثكلتُ بلادي وفلسطينُ في ثيابِ الحِدادِ؟
أيّ عيدٍ وألفُ ألفِ شريدٍ في خيامٍ مصبوغةٍ بالسوادِ؟
أيّ عيدٍ وبين أحشاءِ قومي سرطانٌ يفورُ بالأحقادِ؟
أيّ عيدٍ وللدماءِ لهيبٌ يوقدُ الثأرَ أيّما إيقادِ؟
والربوعُ المقدساتُ الغوالي دنّستْها شراذمُ الأوغادِ
والعدوُّ الوضيعُ يسخر منّي ويدوسُ الرفيعَ من أمجادي

هذه الصورة المؤلمة التي يرسم خطوطها الشاعر تنبئ بالأسى العميق والألم الممضّ. وهذه التساؤلات الحيرى تعمّق الشعور باللوعة والحسرة: فأي عيد نفرح به وفلسطين ما تزال تلبس ثوب الحداد؟ وأي عيد والآلاف مشردة في الخيام السوداء؟ وأي عيد والعدو الحاقد يجثم على الصدور، ودم القتلى يلهب نار الثأر في النفوس، والمقدسات يدنس العدو طهرها، ويهين الأمجاد على الأرض المقدسة؟.

ويعلن الشاعر محمد صيام صمود ساكني الخيام من النازحين مع كل ما يواجهونه من مشاق. فيقول(١):

من خيمتي تلك التي صمدتْ على مرّ السنين
كالماردِ الجبّار في وجه الحوادث أجمعين
وبنيَّ فيها كلّ يو مٍ يزأرون مُردّدين
سنعود يا وطني ولو -إن شاء ربكُ- بعد حين
منها سأكتبُ قصّتي بصراحةٍ للعالمين

(١) ميلاد أمة: ٨٢.

فأنا ابــنُ شــعبٍ لــن يكــلّ ... مــن الجهــادِ ولــن يَلــين
ولســوف يشــعلها لظــىً ... حــتى يعــودَ إلى العــرين

يقرر الشاعر في ثورة وعزيمة أنه صامد رغم المحن، كالمارد الجبّار يتحدى كل الصعاب. وقد علّم أبناءه الصمود والأمل في العودة إلى الوطن الحبيب. وسيكتب من هذه الخيمة قصة صموده للعالم. فهو ابن هذا الشعب المجاهد الصامد. وستظل الثورة تتلهب في صدره حتى يعود كالأسد إلى عرينه.

والمشاعر الصامدة ذاتها يسجلها الشاعر على لسان الفدائيين في قصيدته ((الفدائيون)) إذ يقول(١):

وجلســتُ أسمــع والفــدا ... ئيــونَ يــروون الحكايــة
قــالوا بــأن المــوتَ أصــ ... ـبح في ســبيلِ الله غايــة
وقــراعُ ذؤبــان الفــلا ... ةِ الطــامعين لهــم هوايــة

* * *

وسيصــبرون علــى المكــا ... رِه رغــم بطــشِ المعتــدين
حــتى نعــود إلى فلســ ... ـطين الحبيبــةِ ظــافرين

ثم يمضي الشاعر وقد غلبته رقة الحنين إلى وطنه. فيقول(٢):

---

(١) دعائم الحق: ١٤٤. والقصيدة متعددة القوافي.

(٢) المرجع السابق: ١٤٤-١٤٥.

سـألتُهم عـن أهلِنـا بعـد التشتتِ والفـراق
ورفاقُنـا في المـوطن الغا لي تُـرى كيف الرفـاق؟
فعلمـتُ أن نفوسَـهم مُلِئـت حنينـاً واشـتياق

* * *

لكنـهم آلـوا بـأن يبقـوا هنـاك مـرابطين
رغـم التـبجّح مـن عـدوّ الله والحقـد الـدفين

إنه يسأل الفدائيين عن أهله ورفاقه في الوطن الحبيب، ماذا حلّ بهم بعد الفراق؟ لا شك أنهم يعانون مرارة الحنين والاشتياق، ولكنهم مع ذلك كله أقسموا ((بأن يبقوا هناك مرابطين)) صابرين على إرهاب العدو الغاشم.

ثم يستطرد الشاعر سائلاً عن مدن بلاده السليبة، التي لا يرى مثيلاً لها على وجه الأرض. ويسأل الفدائيين الأبطال عن بطولاتهم ومعاركهم، وعن المسجد الأقصى فيأتيه الجواب: ((برّحه الحنين)) والشوق إلى المصلين. فيقول(١):

وسـألت عـن يافـا وعـن حيفـا وغـزّة والخليـل
وبلادِنـا تلـك الـتي في الأرضِ لـيس لهـا مثيـل
وعـن البطولـةِ في جبـا لِ القـدس أو أعلـى الجليـل

* * *

والمسـجد الأقصـى الحبيـ ـبِ فقيـل: برّحـه الحـنين
وبـه اشـتياقٌ عـارمٌ للـراكعين السـاجدين

---

(١) دعائم الحق: ١٤٤-١٤٥.

أما الشاعر كمال رشيد فيعرض محنة الاغتراب في أسلوب تعريض ساخر، فيقول(١):

اطرب يا شعبُ ولا تغضبْ — واهتف للمذنبِ إذ أذنبْ
لا تغضبْ إن بلدي ضاعتْ — فخيامُ الذلّ بنا أرحبْ
سلبوك الأرضَ وما فيها — والخصمُ أتاك ولم يرهبْ
يا شعبُ عدوك في عملٍ — ليلاً ونهاراً لا يتعبْ
وبنوك اليوم يطيب لهم — ميسورُ المأكلِ والمشربْ
صاروا أشتاتاً أغراباً — يحنون الهامَ لمن يركبْ
اللعبةُ حقاً ممتعةٌ — والكل لمنظرِها يطربْ

يلجأ الشاعر إلى أسلوب السخرية المترعة بالمرارة. حيث ينحي باللائمة على الشعب المنشغل بالملذات عن إخوانه الذين يسومهم العدو سوء العذاب، بعد أن ضاعت بلادهم وأصبحوا يعانون حياة التشرد والمذلة والاغتراب.

كما يبث الشاعر شكواه الموجعة في قصيدة ((وطني)) قائلاً(٢):

أما أنا فلقد سئمـ — ـتُ من المعاني الضائعة
وتركت آهاتِ الهوى — لذوي النفوسِ الوادِعة
أهفو إلى الوطن الذي — أتممتُ فيه السابعة
وتركتُه طفلاً صغيـ — ـراً للذئابِ الجائعة
وكبرتُ كالأيامِ حتَّى — ذقتُ طعمَ الفاجعة

(١) شدو الغرباء: ٢٦-٢٧.

(٢) شدو الغرباء: ١٥. والقصيدة متعددة القوافي.

أحيـــا رهـــينَ الغربتيــــــ ــــــنِ وأرضُ ربي واســـعة

* * *

وطني وفيــك الشــدو والتــــ ــــترجيعُ والــنغمُ الشــجي

وطـــني وغـــيرَك لا أريـــــ ــــدُ تعلّـــةً، لا أرتجـــي

كــــالنور تلمــــع في عيــــو ني كالصــــباحِ الأبلـــــجِ

سحرِ الزمـــانُ ومـــرت الــــ أحـــــداثُ دون تحــــرّجِ

يعبر الشاعر في الأبيات عن تخليه عن الهوى والمعاني الضائعة؛ فنفسه مثقلة بالهموم، لا تهفو إلا إلى الوطن، حيث ذكريات الطفولة. وتتابعت الأيام وكبر الطفل ليعاني مرارة الفاجعة. فصار رهين غربتين غربة عن الوطن وغربة عن النفس. ثم يناجي الوطن الذي أصبحت ذكراه نغماً شجياً يعزفه على أوتار الشعر، ولا يرضى بسواه بديلاً، فهو نور عينيه وصباحه الأبلج، وهو اليوم أسير لدى العدو الباغي الدخيل.

ولكن مهما طال الليل فلا بد له من نهاية. ولا بد للنور من عودة، حين تنطلق الزحوف المجاهدة لتشق دروب النصر، يقول(١):

وطـــني وإن طــــال الزمــــا نُ وإن تعـــددتِ الســــهامْ

واغـــبرّ وجـــهُ الأرض حيــــ ــــناً وانتفــى معــنى الســلامْ

وطـــني وإن نـــام الـــدعيُّ فـــإنّ عـــيني لـــن تنـــامْ

وغـــداً ســـتنطلق الزحـــو ف تزيـــل أســـتارَ الظـــلامْ

فعلــى عــدوي كــلُّ شبـــ ـــرٍ من ثـرى أرضـي حـرامْ

---

(١) شدو الغرباء: ٣٧.

ويصف الشاعر نفسه واقع التشرد والتشتت. فيقول[1]:

غدوتُ موزّعــاً في كــل أرضٍ ... وأوطاني غدت للخصم مرعــى
وفوق الــذلّ حــربٌ واقتتــالٌ ... وأشلاءٌ بلا هــدفٍ وصــرعى
أأيــام كــداحس قــد أطلّــت ... تدعّ القــومَ للبغضــاءِ دعّــا؟
وخصمي كان أشــتاتاً وأمســى ... بفضل النجمةِ الســوداءِ جمعــا
أودّع إخــوتي في كــلّ يــوم ... وأسبلُ عــبرتي وأزيــد دمعــا

يتحسر الشاعر على وطنه وأرضه التي اغتصبها العدو، وتركه مغترباً في نواحي الأرض. ويصف ملامح المأساة المترتبة على ذلك، من تشريد الأهل في المخيّمات، وتفرّقهم، وتطاحن الأحزاب واختلافها. وكأنهم يعيدون حروب داحس والغبراء التي كانت بين العرب في الجاهلية.

وفي المقابل يرى الخصم الذي كان شراذم في الآفاق، يجتمع اليوم تحت شعار النجمة المسدّسة شعار إسرائيل. ويعود الشاعر ليبكي القتلى نتيجة هذه الصراعات، ويسيل العبرات تلو العبرات.

وحول الفكرة نفسها يدور حوار بين الشاعر كمال رشيد وعاذل يلومه قائلاً[2]:

---

(١) شدو الغرباء: ٣٨.

(٢) شدو الغرباء: ٢٤.

الدمعُ يغمر شعرَك الحاني ... وكأنَّ قلبَك فيضُ أحزانِ
إن الطبيعةَ سِفر معجزة ... أو ما أُخذت بسحرِها الداني؟
لِمَ لَمْ تصف ورداً وزنبقةً ... ومجالساً في ظلِّ بستانِ؟
لِمَ لَمْ تصف قلباً يؤرقُه ... حبٌّ إلى معشوقِه الحاني؟
لِمَ لَمْ تصف بنتاً مدلّهة ... لِمَ لَمْ تقل ((يا ظبيةَ البانِ))؟

ينكر ذلك العاذل على الشاعر الحزن الدائم الذي يغلف قلبه وينعكس على شعره. ويتساءل في تعجب لِمَ لَمْ يكتب عن سحر الطبيعة ووصف الوردة والجلوس بين الرياض اليانعة؟ لِمَ لَمْ يصف هموم العشق والعشاق، و لم يصف المحبوبة ((ظبية البان))؟.

ويأتي العرض لصور المأساة، ومظاهر الإرهاب الصهيوني من خلال الرد على هذا اللوم، فيكشف الشاعر سر ذلك الشجن الذي يغلف شعره، ويأخذ بمجامع قلبه[1]:

يا عاذلي في الشعرِ معذرةً ... طولُ الجوى والبعدُ أشجاني
ماذا وقد زادت مصارعُنا ... والخصمُ يمرحُ فوق أوطاني؟!
أئذا بكيتُ على ربا وطني ... أئذا رثيتُ لقتلِ إخواني؟
أئذا جزعتُ لسجن سيّدة ... مأسورة من خلف قضبانِ؟!
أئذا بكيتُ العيشَ في زمن ... أترى سأبكي كلَّ أزماني؟!
لكنني بالحق ملتزمٌ ... والحقُّ يأمرُني وينهاني

---

(١) شدو الغرباء: ٢٤-٢٥.

وأصـــون شـــعري أن أضـــيّعَه   في وصـــفِ أجســـادٍ وســـيقانِ
مـــرّت علـــى أوطاننـــا مِحَـــنٌ   أخنتْ علـــى حـــبي ووجـــداني
حتى أتيـــتَ تقـــول في أســـفٍ:   ((الدمعُ يغمرُ شـــعرَك الحـــاني))

يعتذر الشاعر إلى العاذل، بأن طول البعد عن موطنه هو الذي جعل الشجن يخيّم على شعره. فالعدو يُعمل القتل ويشيع الدمار على أرض الوطن، ثم يتساءل: إلى متى سيظل يرثي القتلى من إخوانه، ويبكي السجناء والسجينات ظلماً وعدواناً؟. ثم يعلن في إصرار وتحدٍّ أنه ملتزم بالحق وإن ادلهمّت الخطوب. وأنه يربأ بنفسه عن أن يضيّع شعره في مشاعر رخيصة وأفكار تافهة. فالمحن تطغى على مشاعر الحب والوجدان.

ويقدم الشاعر كمال الوحيدي[(١)] لقصيدته بقوله[(٢)]: ((شمس بيروت تغيب صوب بحر فلسطين التي حرمتُ منها منذ سنين، فتذكرتُ الأهل والأصدقاء والوطن)). ثم يقول[(٣)]:

يا شمسُ حيّي موطني وصـــحابي   إن غبتِ أنتِ فقد يطول غيـــابي

---

(١) كمال عبد الكريم الوحيدي: ولد في غزة هاشم عام ١٩٣٢م، وعاش في قرية المخيزن بقضاء الرملة. شارك في الجهاد في فلسطين، التحق بكلية الحقوق في القاهرة ولكنه لم يتم دراسته فيها، فعاد إلى غزة، ثم انتقل إلى قطر. وعمل فيها في التدريس ثم حصل على الشهادة الجامعية في اللغة العربية من بيروت. له مجموعات قصصية ومسرحية ودواوين شعرية، انظر: شعراء الدعوة الإسلامية: ٧/١٣٧-١٤٥.

(٢) طريد الدار: ٩٣.

(٣) المرجع والصفحة نفسها.

طال الفراقُ وقُرّحـت أجفاننـا ... واليأسُ حلّ بسـاحتي ورحـابي
عشرين عاماً قد قضيتُ ونيّفـاً ... وأنا أؤمّـل نصـرةَ الأحبـابِ
والشيبُ بان بعارضيّ ومفرقـي ... والخطب أفقدني عظيمَ صـوابي

يحدثنا الشاعر عن غربته وحنينه إلى موطنه، حيث الأهل. فيرسل لهم التحية مع الشمس، ويسألها ألاّ تغيب؛ ليظلّ آملاً في العودة إلى موطنه، كما تشرق الشمس بعد الغروب، وقد طال الفراق ويكاد يفقد الأمل، ويأخذ منه اليأس كل مأخذ بعد هذه السنين الطوال، وهو ينتظر نصرة الإخوة الأحباب، فقد علا الشيب الرؤوس جراء هول الخطوب.

ثم يلتفت الشاعر إلى جزئيات المأساة من تشرد واضطهاد وتنكيل، ويتذكر وعد بلفور المشؤوم، حين أعطاهم هذا الحاقد فلسطين وطناً قومياً، فيندد الشاعر بهذا الوعد، ويقرّر أن الإنجليز هم أعداؤنا منذ أن وقفوا خلف اليهود ظلماً وعدواناً، قال(١):

فلقد تجـرّع بالتشـردِ شـعبُنا ... كأسَ المرارةِ من وحوشِ الغـابِ
سلب اليهودُ بلادَنـا ورياضَـنا ... بالغـدرِ والتنكيـلِ والإرهـابِ
وحكومةُ الطغيانِ شدّت أزرَهـم ... ((بلفور)) واعدهم بشرّ كتـابِ
أعطاهمُ القدسَ الشريف لحقـدهِ ... ودمُ المسيح كزعمِهم بتـرابي(٢)

وللشاعر نفسه قصيدة ثانية في الحنين والغربة يسير فيها على سنن الشـاعر

(١) طريد الدار: ٩٤-٩٥.

(٢) يدّعي النصارى أن المسيح قُتل وصُلب، ومع هذا يقدم بلفور لقاتلي معبوده ((لليهود)) الوطن الذي قتلوه فيه!!.

القديم حين يوجه شكواه إلى اليمامة التي هيّج هديلها كوامن الأسى في نفسه[١]، فقال[٢]:

هديلكِ يا يمامــة هــزّ حســي   وبثّ الشوقَ في أعماقِ نفســي
أثــار الــذكريات بهــا لهيبــاً   فحنّت للــتي ألفيــتُ أُنســي
إليهــا جــاد قلــبي بالتحايــا   فمنها النورُ يسطع ضوءَ شمــسِ
وفي ربواها أنشــدتُ شــعري   نقيــاً لــيس ذا زورٍ ولــسٍّ[٣]
على هضباتها حلّقــت أشــدو   بكل فضــيلة وخيــار غَــرسِ

يعبر الشاعر عن حنينه لوطنه وشوقه إلى الديار التي وجد فيها الأنس والنور، وأنشد فيها الشعر الصادق وعلى هضباتها حلّق سعيداً متغنياً بكل فضيلة.

ثم يحكي الشاعر كيف تقطعت الأسباب بينه وبين وطنه ليعمق بذلك صورة الألم فيهتف[٤]:

يمامــةُ ردّدي ســجعاً فــإني   بعيدُ الدارِ عن أهلــي وقدســي
طريدٌ عن ديــاري منــذ حــين   وقد سُــلبت روابيهــا بخلــسِ
وكان الأهل صــرعى في عــراءٍ   وفي الفلواتِ قتلى دون رمــسِ

---

(١) من ذلك قول الخنساء:

تذكرتُ صخراً إذ تغنّــت حمامــةٌ   هتوفٌ على غصنٍ من الأيكِ تسجعُ
فظلتُ لها أبكــي بــدمع حزينــةٍ   وقلــبي ممــا ذكَــرتْني موجَــعُ

ديوان الخنساء: ٦٨.

(٢) طريد الدار: ١٥٥-١٥٦.

(٣) لسّ: دسّ.

(٤) طريد الدار: ١٥٦-١٥٧.

بربكِ يا يمامةُ شاطريني بأسجاعٍ أجد فيها التأسّي
وبثّي الشوقَ إن يممتِ أرضي كنفحِ الزهر في طيّاتِ طِرسي

تتجلى في الأبيات نغمة الحزن الحزينة الممتزجة بالأنين الموجع. فقد مرّ الشاعر بأقسى الظروف أمام عسف العدو وجبروته. فأُبعد عن بلاده بعد أن استولى عليها البغاة، خلال أيام حسوم عابسات، فأعملوا في أهله القتل والتنكيل. ويعود إلى اليمامة فيسألها أن تواسيه بسجعها، وأن تحمل أشواقه العطرة إلى أرض بلاده الحبيبة.

ويتوجه الشاعر صالح الجيتاوي إلى ربه في ابتهال ضارع شاكٍ، ويقول(١):

يا ربِّ يا معبود طالت غربتي ودجَت لحالك ما بها أيامي
وتتابعتْ تترى الخطوبُ وأطبقتْ ويكاد يفلت من يديَّ زمامي
أشكو إليك مصائباً توري الحشا بَوحاً إليك يفيض عن آلامي
أشكو إليك تنابذاً وتصارماً أشكو إليك تقطعَ الأرحامِ
ومصارع الشهداء ما جفّت ولا فقدت أنوف فوحةَ الإجرامِ

يشكو الشاعر إلى ربه طول غربته الحالكة السواد، محروماً من متعة العيش في موطنه، وتكاد الأحداث تفقده صوابه، والمصائب تترى ملهبة نار الألم والحنين. وشيء آخر يقاسيه الشاعر هو تنابذ الإخوة وتخاذلهم عن نصرة إخوانهم. وهم يرون ما يحلّ بهم من هوان وإرهاب وتنكيل.

(١) صدى الصحراء: ٧٠.

هذا وجملة القول أن بلابل الشعر صدحت متأثرة بأجواء الغربة ومشاعر الحنين والشوق إلى الوطن، في إسهاب واستفاضة.

وقد سيطر الضياع وجوّ الحزن والأسى والشفقة على قصائدهم، ولكن خفّف من سوداوية هذه الصورة وقتامتها مسحة من التفاؤل عند معظم الشعراء الذين مجّدوا الصامدين الثائرين، وأطلقوا صيحاهم المدويّة من أعماق قلوبهم؛ لشحذ العزائم واستنهاض الهمم، محرّضين على الصمود والثبات في وجه الأعداء لاسترجاع الوطن المحتل فظلّ الأمل يداعب نفوسهم مع ما يقاسونه بعيدين عن وطنهم؛ مما ترك على شعرهم هذه البصمات القوية البارزة.

Obeikandl.com

المبحث الرابع

إحراق اليهود المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م وردود الفعل العربية

إن إسرائيل التي تدّعي كفالتها الكاملة لحرية الأديان تضرب كل يوم عرض الحائط بهذه الكفالة، وإنّ في هذه المحاولات الاستفزازية التي تقوم بها الجماعات العنصرية والمتطرّفة ضد المقدسات الإسلامية في القدس، واكتشاف مخططات هدم المسجد الأقصى؛ لإقامة الهيكل اليهودي المزعوم مكانه، لعل في هذه المحاولات شهادة على معاداة الصهيونية للأديان السماوية[١].

((ولم تسلم أماكن العبادة للمسلمين والمسيحيين على السواء من المخططات الاستيطانية. وتتفاوت الممارسات في شدها ما بين انتهاك لحرمة الأماكن المقدسة أو هدمها أو إحراقها أو الاعتداء عليها وعلى موجوداتها بالسرقة والسلب))[٢].

وبعد أن ذهب البحث عن هيكل سليمان المزعوم أدراج الرياح، فلم تجد إسرائيل شيئاً مما افترضته، أوحى إليهم شيطانهم أن تدمير المسجد الأقصى وإزالته من الوجود سيعطيهم الحق في بناء الهيكل على أنقاضه، كما يُزال معلم إسلامي مهم؛ وبذلك تزول الصبغة الإسلامية عن القدس. وصمموا على تنفيذ خطتهم النكراء في الثامن من جمادى الآخرة عام ١٣٨٩هـ الموافق للحادي والعشرين

---

(١) انظر الملف السري الأسود لإسرائيل: ١١٢.

(٢) المرجع السابق: ١١٣.

من آب عام ١٩٦٩م حين تعرض المسجد الأقصى لحادث حريق متعمّد نفّذه يهودي إسرائيلي، زعمت السلطات الصهيونية أنه مختل عقلياً. وما إن شوهدت النيران بالمسجد، حتى هرع إليه المسلمون من كل حدبٍ وصوب؛ لإطفاء الحريق. فدبت فيهم روح الحميّة الإسلامية، وهاجموا الاحتلال بعنف وضراوة، واستطاعوا إنقاذ ثالث الحرمين الشريفين، بعد أن أتت النيران على منبر صلاح الدين وعلى أجزاء كبيرة منه[1].

وبعد الحريق بيوم دعا الملك فيصل بن عبد العزيز -رحمه الله- إلى مؤتمر قمة إسلامي، حضره رؤساء خمس وعشرين دولة إسلامية في مدينة الرباط بالمغرب. ونادى فيه بالجهاد المقدس، ورفض أي حل للقضية الفلسطينية لا يكفل لحرية القدس وضعها السابق لأحداث حزيران عام ١٩٦٧م كما طالب المؤتمرون جميع الحكومات -وبصورة خاصة حكومات فرنسا والاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية- أن تأخذ بعين الاعتبار تمسك المسلمين القوي بمدينة القدس وعزم حكوماتهم الأكيد على العمل من أجل تحريرها.

وساهم الشعراء الإسلاميون في توعية الجماهير المسلمة لما يُحاك ويدبّر للمسجد الأقصى. فانساب الشعر الإسلامي دفّاقاً يحمل مشاعر الغضب والثورة جراء هذا الحادث المؤلم. قال عمر بهاء الدين الأميري مقدماً لقصيدته[2]: ((في الذكرى الأولى للإسراء والمعراج بعد حريق المسجد الأقصى وانعقاد مؤتمر القمة الإسلامي)).

---

(١) انظر الوظيفة الإعلامية للشعر الإسلامي المعاصر في قضية فلسطين: ٥٥٩-٥٦٠.

(٢) من وحي فلسطين: ١٣٢.

يفتتح الشاعر قصيدته بتوجيه نداء حار إلى ذكرى الإسراء والمعراج ويصرح ببكائه ((والأبيّ على البكاء يلام)) إذ قال(١):

يا يوم معراج الرسول وأنـت في ... كرّ الـدهور، هدايـة وسـلامُ
عذراً إذا خنـق البكـاء تحـيتي ... لك، والأبيّ على البكـاء يـلامُ

لكنه لا يلبث أن يبيّن سبب البكاء وعدم القدرة على حبس الدموع(٢):

لكنـه الأقصـى وفي نكباتِـه ... وحريقِه، حبسُ الدموع حـرامُ
دمع الأبيّ الحرّ بعـضُ جهـادِه ... وزفـيرُه عنـد الـوغى إقـدامُ

ثم يقول(٣):

فالقدسُ نارُ محاجري ومشاعري ... هولٌ يغـولُ هنـاءتي وحِمـامُ
هل تطمئنُّ بيَ الصلاةُ وقبلتي الـ ... أولى يدنّسـها خـنى وأثـامُ
في عين إيماني قـذىً وأذىً وفي ... قلب السـكينة للـهموم عـرامُ

وبعد أن عبّر الشاعر عن مكنون يفيض بالأسى والألم الممضّ، بدأ بعـرض ملامح المحنة المتمثّلة في استباحة العدو لمقدسات المسلمين وكرامتهم نتيجة بدهية للفرقة والخصام الذي يحيونه. والبعد عن الدين سبب آخر وراء هـذا الحـادث الأليم، فقال(٤):

أممٌ يشتت شملَهـم زعمـاؤُهم ... وعـدوُّهم متكـاتفٌ غشّـامُ

---

(١) من وحي فلسطين: ١٣٢.

(٢) من وحي فلسطين: ١٣٣.

(٣) المرجع نفسه: ١٣٤.

(٤) المرجع نفسه: ١٣٩.

والحكمُ لا ما أنــزل اللهُ الهــدى لكنّـــه الأهـــواءُ والحكـــامُ
ورسالةُ الإسلامِ ناموسُ الهــدى للعـــالمين رُعاهـــا أقـــزامُ

ويعود الشاعر ليوجه نداء مؤثراً إلى الأمة، فيه لوعة الأسى وحرقة الأحزان، قائلاً[١]:

يا أمــةَ المجــدِ العريــقِ إجابــةً هــل يســتقيمُ لمســلمٍ إســلامُ؟
والمسجدُ الأقصى يُحــرَّق عنــوةً وذوو البلاءِ، عــن الــبلاءِ نِيــامُ؟
متجبّـــرون، وإنـــه اســـتئثارهم وهـــوانُهم والبغـــيُ والإحجـــامُ
أغرى ((اليهود)) بنا، وأمكن كيدُهم منـــا، فعـــدنا والـــبلاد حطـــامُ

إنها دعوة إلى اليقظة، وتقريع يخاطب ما في نفوس المتخاذلين من بقايـــا كرامة الإنسان المدافع عن كيانه وعن وجوده. ثم يقول محيّياً مؤتمر القمـــة في الرباط[٢]:

يا ((قمةَ)) الحكام بورك سعيهم ما أخلصوا، ومضى به الحكـــامُ
جهدُ الدعاة بكم سيثمرُ غرسُـــه فلقـــاؤكم درعٌ لـــه وحـــزامُ
هذي طليعةُ مســـلكٍ منشـــودة غاياتُـــــه، تخذيلـــه إجـــرامُ
عملتْ له شمُّ النفوسِ وماونـــت واستشـــهدت ولهـــا إليـــه أوامُ
جمعٌ على قربى العقيدةِ والنّهــى دفعٌ لخطـــب ردى، أذاه ركـــامُ

يحيّي الشاعر حكام المسلمين المجتمعين في المؤتمر، ويبارك سعيهم، ويرى فيهم أملاً قوياً في النجاة، وسبيلاً مؤدّياً إلى الغايات المنشودة. فالوحدة والتضامن هي

---

(١) من وحي فلسطين: ١٣٩.

(٢) من وحي فلسطين: ١٤٥.

الطريق لتجاوز الهزائم التي صنعتها الفرقة. فيدعو الشاعر ضمناً إلى التلاقي والتوحد الإسلامي؛ لأن وحدتنا هي طريق سيادتنا على الأعداء، وفرقتنا طريق السيادة للأعداء علينا.

ويهدي الشاعر أحمد فرح عقيلان قصيدته ((واحترق الأقصى)) ((إلى مؤتمر القمة الذي انعقد في الرباط إثر حريق المسجد الأقصى الشريف)). فيقول[1]:

تكشّف الأمرُ عن حقد وعن لهبِ ... وشبّت النارُ في ميراثِ خيرِ نبي
وطأطأت هامةُ التاريخِ من خجَل ... وديسَ في التُّرب عزُّ الشرقِ والعربِ
وقهقه الكفرُ في لؤمٍ وسخريةٍ ... لما رأى القدسَ يذري دمعَ منتحبِ

يفتتح الشاعر قصيدته مبيّناً الأسباب الكامنة وراء هذا الحدث الفظيع، فالحريق المتلهب في الأقصى يحكي اللهب المتضرم داخل نفوس اليهود الحاقدة. ويرسم الشاعر صورة للتاريخ وقد أطرق إغضاءً وحياءً من جراء هذا الحدث المهين لكرامة المسلم.

ويؤكد الشاعر فظاعة هذا الحدث بقوله[2]:

يا من رأى القبلةَ الأولى وقد حُرقت ... نفسي الفداءُ لذاك المسجد الخربِ
بكت له الكعبةُ العظمى شقيقتُه ... ومادت الروضةُ الغراءُ من غضبِ
لو كان في العُرب إسلامٌ لما شقيت ... منازلُ الوحي بالأوثانِ والصلبِ
ولا تركنا على رُغمٍ ومجبنةٍ ... مسرى النبي لأفّاقٍ ومغتصبِ
يا مسلمون لقد عدنا بلا وطنٍ ... ولا تراثٍ ولا مجدٍ ولا حسبِ
إن لم تثرْ لحريق القدس غضبتُنا ... فنحن من معدنِ الأحجارِ والخشبِ

---

(١) جرح الإباء: ٢٦-٢٧.

(٢) جرح الإباء: ٢٦.

يتحدث الشاعر عن حريق الأقصى حديثاً نرى فيه الألم الذي يعصر قلبه، والتبكيت الذي يهز مشاعر المتقاعسين من الأعماق. فالكعبة المشرفة والروضة الشريفة تبكيان أسىً لما حصل للأقصى. ويبلغ الألم من الشاعر مبلغاً أشد فعلاً وتأثيراً؛ فيهتف متسائلاً: أين الرجولة والحميّة الإسلامية؟ هل نجبن عن حماية مسرى النبي ونتركه نهباً ((لأفّاق ومغتصب))؟ إن ضياعه يعني ضياع مجدنا وتراثنا وعزّنا.

ثم يصور الشاعر شراسة الأعداء، وطباع اليهود من بغض وحقد على الإسلام والمسلمين، مما دفعهم إلى إعمال القتل والتنكيل فيهم، كما صنعوا ذلك بأنبيائهم من قبل. حيث يقول(١):

إن اليهودَ أشدُّ الناسِ مبغضةً ... للمؤمنين رواها أشرفُ الكتبِ
حَرْقُ المصلى وذبحُ الطفلِ شِرعتهم ... أفٌّ لهم شِرعة السكين واللهبِ
كم من نبيٍّ تترّى من خناجِرِهم ... فخرّ يدعو على الكفار بالغضبِ

ويثني الشاعر على مؤتمر القمة والقادة المجتمعين فيه فيقول(٢):

يا خيرَ مؤتمرٍ لله منعقدٍ ... للحقِّ منتصرٍ للدينِ منتسبِ
يا قادةَ الأمةِ الغرّاء أمتنا ... إذا رَمت بسوى الإسلام لم تُصبِ
لما رأى خصمُنا في الدين قوتَنا ... مضى يضلّلنا بالهدمِ والكذبِ
ويوهم النَّشْءَ أن الدين ليس سوى ... رجعيّة تُركس الإنسانَ في التعبِ

(١) جرح الإباء: ٢٧.
(٢) جرح الإباء: ٢٨.

لو اجتمعنا على الإسلامِ من زمن لبات جدُّ بني صهيون في صَبَبِ
لكن حملنا شعاراتٍ موزعةً فكان ما كان من خِزي ومن عَطَبِ
إذا ابتغينا سوى إسلامنا بدلاً فإننا من بني حمّالةِ الحطبِ

يشير الشاعر إلى المؤتمر ويأمل أن يكون فيه انتصار للحق. ويوجه نداءه إلى القادة المجتمعين مذكّراً بأن لا نصر ولا عزة إلا بالإسلام.

ثم ينتقل الشاعر إلى أسباب الهزيمة أمام العدو، فيرجعها إلى أن العدو قد أعمل الهدم والتضليل بمبادئ أبناء الأمة؛ لإدراكه بأن قوة الأمة تكمن في التمسك بعروة الدين القويم. فعمل على إضعاف العقيدة في نفوس النشء، بدعوى أن الدين سبب في الرجعية والتخلف عن ركب الحضارة.

ثم شرع يندّد بالشعارات التي مزقت المسلمين إلى أحزاب؛ فأوهنت قواهم، وأمكنت العدو منهم وأركستهم في جاهلية حديثة.

ثم يستنهض الشاعر العزائم بقوله(١):

اليومَ للعروةِ الوثقى تجمُّعنا لا رأي فينا لمشّاء ومغتربِ
فأَعلِنُوها على الكفّار مسلمةً تلقي بمن حرقوا الأقداسَ في اللهبِ
سيروا على اسم الذي يحمي مسيرَتكم فمن سعى في سبيل الله لم يخبِ
ومن تكن في سبيل الله هجرته فتحت إمرته جيش من الرعبِ
ولتجعلوا من حطامِ القدسِ أشوطةً تنصبّ فوق عدو اللهِ كالشهبِ

---

(١) جرح الإباء: ٢٨-٢٩.

يهيب الشاعر برجال الأمة أن يمضوا في ثورة وعزيمة إلى الجهاد في سبيل الله انتقاماً ممّن حرقوا المسجد المبارك. ومن كانت مسيرته على اسم الله فالنصر حليفه ولا شك. وسيوقع الله الرعب في نفوس الأعداء؛ مصداقاً للحديث الشريف ((أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي (وذكر منها:) ونصرت بالرعب بين يَدَيْ مسيرة شهر..))[١] الحديث.

أما الشاعر كمال رشيد فيقول من قصيدة حافلة بالنداء الوجداني الذي يهزّ المشاعر ويوقظ القلوب، ويثير العواطف[٢]:

جلّ المصابُ وزادت الآلامُ ... وعدت على أرض الهدى الأقوامُ
يا ثالثَ الحرمين حرقُك نكبةٌ ... فيها يزيدُ الجرحُ والإيلامُ
يا موطنَ الإسراءِ خصمُك غادرٌ ... وسبيلُه التقتيلُ والإجرامُ
إن يحرقوك فليس ذلك بدعةً ... في دينهم بل إنها الأحلامُ
حربٌ على الدين الحنيفِ وإنها ... لطويلةٌ ما طالت الأيامُ

كشف الشاعر عن أثر مأساة الحريق على نفسه. فنراه يعبر عن نار الحزن والأسى التي تحرق قلبه، وتزيد جراحه. ويلتقي مع الشاعر عقيلان في كشف طباع اليهود من غدر وإجرام؛ فليس ما فعلوه بدعة في دينهم بل هو أمانيهم وأحلامهم في هدم المقدسات والقضاء على الدين الحنيف. ثم يعود الشاعر لتصوير أثر المأساة في نفسه، حيث يقول[٣]:

(١) صحيح مسلم: ١/٣٧٠ (٥٢١).
(٢) شدو الغرباء: ٣٢.
(٣) شدو الغرباء: ٣٣.

أسفي على الأقصى وقد عبثتْ به ... نارُ العــدو وقــد عــلاه قتــامُ
أسفي على الإسلام يترف جرحُه ... والمسلمون عــن الجهــادِ نيــامُ
لم يغضـــبوا لله غضـــبةَ مـــؤمنٍ ... رأوا العدو بأرضِـــهِم وتعــاموا
ما قيمةُ الدمعِ الهتــونِ أصــوغُه ... شعراً وشعبي للـــهوان يســـامُ؟
في كل أرضٍ من ديـــار محمـــدٍ ... ذلٌّ يــــرادُ وفرقـــةٌ وخصـــامُ

أودع الشاعر الأبيات آهاته وحسراته على ما حلّ بالأقصى. كما أودعهـــا تقريعاً للمتقاعسين عن الجهاد، المتعامين عن جرائم العـــدو الآثم علـــى الأرض المقدسة. ويتساءل في حسرة: ما جدوى الدموع والشعب يسومه العدو ســـوء العذاب، وفي كل أرض مسلمة يوجد الذلّ والفرقة والاختلاف؟

ثم يلتفت الشاعر إلى إثارة حفيظة الإنسان المسلم؛ علّه يستيقظ من غفلتـــه، وينفض عنه غبار التواني والتخاذل، إذ يقول(١):

يا من ركنتَ إلى الحياةِ وطيبِهـــا ... الذل في الدين الحنيـــفِ حـــرامُ
والحق أبلـــجُ والحيـــاة قصـــيرةٌ ... فعلامَ خوفٌ إن أتـــاك حِمـــامُ
(من لم يمتْ بالسيف مات بغيره) ... ولكلّ نفـــس في الحيـــاةِ مـــرامُ
أين الملايـــين الـــذين نعـــدّهم ... أوَليس فـــيهم فـــارسٌ مقـــدامُ؟
بخلت علينـــا الوالـــدتُ بمـــثلِهِم ... وأتـــى علـــى آثـــارِهم أقـــزامُ

فالمسلم الحرّ لا يستمرئ عيش الهوان ولا يقبل الذل، وإنما يقدم على الموت في سبيل العقيدة، دون وجل أو تهيّب، فالموت مصير كل حيّ، والعاقل من يختار

---

(١) شدو الغرباء: ٣٤.

الموت في إباء وعزّة. ويتساءل الشاعر عن الملايين من المسلمين ((أوَليس فيهم فارس مقدامُ؟!)) وهل عجزت الوالدات أن يلدن إلا الأقزام؟!

ثم طفق الشاعر يستلهم التاريخ المشرق لهذه الأمة، يوم أن ((سعدت بنا الأيام)). ويشير إلى الزمن الظافر الذي تحققت فيه للمسلمين أمجاد وانتصارات عظيمة ويصرّ على زرع الأمل في النفوس؛ فلعل سفر المجد يسجل صفحة جديدة مشرقة. يقول(١):

شقيتْ بنا الأيامُ إن لم نُحيها ... ولطالما سعدت بنا الأيامُ
نحن الأُلى خبروا المعاركَ قادةً ... أيرادُ منا الذلُّ والإرغامُ
قم يا صلاح وشاهد القدس التي ... حررتَها يزهو بها الحاخامُ
فلعل سِفرَ المجدِ يفتح صفحةً ... فيُطِلُّ يومٌ مشرقٌ بسّامُ

وفي قصيدة ((شهيد)) للشاعر نفسه يبرز حادث الحريق في ثنايا تمجيده للشهيد فيقول(٢):

ثائرٌ من ذرا اليمنْ ... جاءنا يحملُ الكفنْ
راعه أن يرى العدا ... تغصِب القدسَ والوطنْ
تحرق المسجدَ الذي ... عزّ من سالفِ الزمنْ
هالَه حالُ أمةٍ ... تعشقُ النومَ والوسنْ
وعدو يريدها ... يزرع الحقدَ والفتنْ

(١) شدو الغرباء: ٣٤.

(٢) القصيدة في رثاء الشهيد المجاهد محمد سعيد باعباد من اليمن، وقد استشهد على أرض فلسطين؛ شدو الغرباء: ٦٩.

لستُ أبكيك يا أخي ... رغم دمعي الذي هتنْ
إنما العمرُ ساعة ... تتلاشى مع الزمنْ
بعدها جنةُ العلا ... بعدها الخلدُ والسكنْ
إنها غايةُ الذي ... حمل السيفَ والكفنْ

يقدم لنا الشاعر صورة لنفس هذا الشهيد الثائر الذي لم يتخاذل أمام العدو الباغي، و لم يؤثر السلامة ويستمرئ المهانة؛ وإنما هبّ ثائراً مجاهداً حين رأى العدو يحرق المقدسات، ويهين الأمجاد حقداً وظلماً. ولا يذرف الشاعر الدموع على الشهيد، لأنه إنما أراد الجنة فنالها بإذن الله، فهي الغاية التي من أجلها جاهد وقاتل واستشهد.

وللشاعر المصري صابر عبد الدايم[1] قصيدة في هذا المجال بعنوان: ((نقوش على جدران المسجد الأقصى)) يفتتحها بمطلع ينقل إحساس الشاعر الصادق بالحزن العميق. إذ يقول[2]:

يا قدسُ طيرُ الحقّ فيك يحلّقُ ... والمسجدُ الأقصى يُدَكّ ويحرقُ

ثم شرع في تفصيل الحادث المفجع:

الغاصبون زمان أمنِك ما دروا ... أن الحجارةَ في اشتعالِك فيلقُ

---

(١) صابر عبد الدايم يونس: ولد في مدينة الزقازيق في مصر عام ١٩٤٨م ودرس في معهد الزقازيق الديني ثم التحق بجامعة الأزهر وحصل على الشهادات الجامعية الثلاث العليا، له ثلاثة دواوين مطبوعة وبحوث أدبية عديدة. انظر: مختارات من الشعر الإسلامي الحديث: ٣١٩.

(٢) مدائن الفجر: ٥٧-٦٢.

قد أضرموا النيرانَ فيك وفي قلـــو بِهِمُ الفسادُ مع الجحـــودِ معلـــقُ
والمسجد الأقصى يقاوم كيــدَهم وبه إلى فجـــرِ الأمـــانِ تشـــوقُ
والسلمُ مبتورُ اليـــدين بســـاحةٍ فيها الأمانُ مع الســـلامِ مـــورّقُ
قد أشعلوا الـــنيرانَ في أضـــلاعه وضلوعه هديٌ، وذكرٌ مغـــدقُ
قد أحرقوه فزاد عطـــرُ جلالـــهِ كالعودِ يكثر عطـــرُه إذ يحـــرقُ
وأتَوا بحقـــدهمُ ليطفـــئ نـــورَه لكنه كالشـــمسِ فينـــا يـــبرقُ

يلتقي الشاعر مع سابقه في فكرة الكشف عن طباع اليهود التي كانت وراء حريق المسجد الأقصى. فقد أشربت قلوبهم الفساد والجحود والكيد. ويرسم لوحة مؤثّرةً للمسجد الأقصى الصامد، رغم ما يعانيه، ورغم تشوقه إلى فجر الأمن والسلام. بعد أن سيطر عليه البغي وأثقله قيد الأسر، إلا أنهم لن يستطيعوا المساس بطهره وقدسيته. وإنما زاده الإحراق جلالاً وعظمة في النفوس ((كالعود يكثر عطره إذ يحرق)) فلن يطفئ حقدهم نوره؛ لأنه كنور الشمس لا يُحجب أبداً.

ثم انبرى الشاعر يكشف نوايا العدو الخبيثة في هدم الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم. فيقول:

مسرى رسولِ اللهِ تلك صحائفٌ خُطّت بسفرِ المجدِ فيـــك تَنَسَّـــقُ
إن أشعلوا النيرانَ فيـــك فإنمـــا هي جذوةٌ وبغيرِها لـــن يحرقـــوا
ظلموا سليمانَ الحكـــيمَ بهيكـــلٍ وبغَوا وقالوا: نحن شعبٌ أعـــرقُ

إن مسرى النبي الكريم يمثل أمجاد الإسلام التي خُطّت في الصفحات المشرقة من التاريخ، وإن هذه النار التي ألهبت جدرانه هي ذاتها النار التي ستحرق اليهود

الآثمين. ويشير الشاعر إلى هيكل سليمان، وأن في زعمهم هذا ظلماً وبهتاناً على نبي الله عليه السلام، كما زعموا -زوراً وبهتاناً- أنهم شعب عريق مختار.

وينتقل الشاعر -في نهاية المطاف- للتوعد بالثأر للمقدسات ومقاومة العدوان الباغي بعزيمة وثورة، فيقول:

إن أحرقوهُ وهدّموا محرابَه ... فبكى، وهم سمعوا الأنين فصفّقوا

فالثأرُ يزحفُ في انتفاضةِ أمتي ... وبعزمةِ الأحرارِ قلبي يشهقُ

((اللهُ أكبرُ)) في الشدائدِ مدفعي ... بالنصر برقُ ضيائِها يتدفقُ

المسلمون على الأكفّ الروحَ قد ... وضعوا، وكلّ للفِدا متشوّقُ

سيهبُّ كالإعصارِ كلُّ موحّدٍ ... يُفني الطغاةَ وللجُناة يمزّقُ

وشهادةُ التوحيدِ مدفعهُم وديـ ... ـنُ اللهِ رايتُه عليهم تخفقُ

وتسير جندُ اللهِ بين صفوفِهم ... فالله ينصر جندَه ويوفّقُ

إن كان الحريق يمثل فرحة للأعداء بتحقيق أهدافهم والتنفيس عن حقدهم الأسود، فلا بد أن نثأر له، في انتفاضة ثائرة وبعزيمة صادقة، شعارها ((الله أكبر)) وسلاحها الإيمان بالله. فالمسلم الحرّ تاقت نفسه إلى الفداء واضعاً روحه على كفه، والشهادة غاية أمله. فيهبّ إعصاراً يمزق الطغاة ويقضي على الباغين. لتعود راية الإسلام عزيزة خفّاقة، ويبارك الله هذا الزحف المبارك بإرسال جنده تقاتل بين الصفوف نصراً مؤزّراً لمن نصر الله.

وفي العيد تعاود هذه الذكرى الأليمة الشاعر أحمد الصديق فيبثّ شكواه في لوعة وأسى، قائلاً[1]:

---

(١) نداء الحق: ٢٣٦.

يا عيدُ والمسجدُ الأقصى محرّقــةٌ أحشاؤه وهو في الأغلالِ مصفودُ
كأنّه ضيغمٌ في الأســرِ مــرتهنٌ وبابه خشيةَ الإفــلاتِ موصــودُ
يا عيدُ أين صلاحُ الدين يُعتقُــه حرّاً ففيه لواءُ النصــرِ معقــودُ؟

يرسم لنا الشاعر صورة الأقصى مغللاً بالأصفاد كالأسد الأسير في سجنه. ويستنجد الشاعر بصلاح الدين الأيوبي، ذلك القائد المظفّر الذي أنقذ القدس من براثن الصليبيين.

وفي غمرة الأسى والحزن يتطلع الشاعر إلى القائد المسلم الحرّ، الذي ينــتقم للمقدسات، ويعمرّ بنيان العقيدة، ويتخلق بخلق العظماء الفاتحين، بعزيمة لا تفــل وثقة بالله لا تهتزّ، وعندها يُكتب النصر على يديه وتعود للأمة عزّها وأمجادهــا. فيقول[1]:

وإنما يقهــرُ الطغيــانَ معتصــمٌ بــالله منـــتقمٌ لله صـــنديدُ
وليس يعمرُ بنيــانٌ لنــا أبــداً ما لم يكن فيه للأخلاقِ تشــييدُ
نستقبلُ الأمرَ في عزمٍ وفي ثقــةٍ والجندُ في ساحةِ الرحمنِ محشــودُ
هناك تعلــو بــدينِ الله رايتُنــا حقاً ويصــحبُنا عــزٌّ وتمجيــدُ

ويوجه الشاعر صالح الجيتاوي حديثه إلى صلاح الدين. فيقول[2]:

إيــه صــلاحَ الــدينِ هــل مــن منــبرٍ للعــزِّ ثــانِ؟
القــومُ صــاروا مثــل أهْــــلِ الكهــفِ في تيــه الزمــانِ
تتقلـــبُ الأجســـادُ لـــــكنْ أيــن يقظــانُ الجَنــانِ؟!

---

(١) نداء الحق: ٢٣٧.

(٢) صدى الصحراء: ٢٦.

يـــا ويحهـــم أيظـــلُّ مســـ ـــجـــدُهم بمحنتـــه يعـــاني؟!
يـــا ليتـــهم كـــانوا ((تميـــ ـــماً))[1] في الطِّرادِ وفي الحـــرانِ
يا ليتـــهم ((مضـــر))[2] بغضـــ ـــبتهم تـــرددتِ الأغـــاني

بعد أن أحرق العدو الغاشم منبر صلاح الدين داخل الأقصى يستنجد في تنقلاته حتى دخل القدس فاتحاً، وركّبه في المسجد الأقصى إيفـــاءً بنـــذره. ويصور الشاعر الأمة وهي تغطّ في نوم عميق؛ ولا تشعر بما يحـــاك حولهـــا. ويعلي النكير على المتقاعسين والمتخاذلين مع ما يرونه من محنٍ تترى، ويتمنّى لو كان لديهم غيرة تميم ((في الطراد وفي الحران)) أو غضبة مضر وغيرتهم على حماهم.

ويستبين القارئ لقصيدة الشاعر الحبيب المستاوي[3] مشاعر الألم والأســـى وهو يرى مشهد الحريق فيهتف هذا الهتاف الشجي[4]:

---

(١) إشارة لقول جرير:

إذا غضبتْ عليك بنو تميمٍ حسبتَ الناسَ كلهم غِضابا.

(٢) إشارة لقول بشار بن برد:

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً هتكنا حجابَ الشمسِ أو تمطر الدما.

(٣) الحبيب المستاوي (١٩٢٣م-١٩٧٥م) ولد بقرية الرقبة ولاية مدنين في تونس. نشأ في بيت علم وأدب، والتحق بجامع الزيتونة فحصل على الشهادة العليا، وباشر التدريس في مدنين ثم قفصة ثم انتقل إلى ليبيا ثم عاد إلى تونس ليعمل أستاذاً للشريعة وأصول الدين بالكلية الزيتونية ثم تولى التدريس في الأكاديمية العسكرية عدة سنوات إلى أن توفي. انظر: شـــعراء الـــدعوة الإسلامية في العصر الحديث: ١٢١-١٢٢.

(٤) شعراء الدعوة الإسلامية: ٩/١٤٨.

أمــةُ الإســلامِ هــل يوقظُهــا   مشهدُ الأقصى ونــار تلتــهبْ؟
أمــةُ الإســلامِ هــل يؤلمُهــا   مسجدُ الصخرةِ وهو المكتئــبْ؟
أمــةُ القــرآنِ هــل يجمعُهــا   مجدُها المَوْعُودُ مذ أقصى الحقبْ؟

وبعد هذا التساؤل المتحسّر الحائر، طفق الشاعر يقدم نصحه للأمة. علّهـا تتوحد أمام العدو، وتربأ الصدع، ويتمنّى أن يخرج من هذه الأمة قائدٌ بطل كابن تاشفين وقطز وصلاح الدين، الذين حققوا الانتصارات العظيمة. يقول موجهـاً حديثه لأمة الإسلام(١):

ليتــها تســمعُ مــن ينصــحُها   ترأبُ الصدعَ وتــأتي بالعجــبْ
ليتــها يخــرجُ منــها قائــدٌ   يبعثُ الدينَ فــتتراحُ الحُجُــبْ
(كابن تشفين) و(قطْــز) بعــده   و(صلاح الدين) لمــا أن وثــبْ

وعلى هذا الدرب سار الشعراء الإسلاميون في إبراز حريق المسجد الأقصى مستغلّين هذا الحادث المؤلم للإنذار بخطر محدق بالبلاد وبمقدساتها. فكان هـذا الحدث مجالاً ثرّاً لتعبئة المشاعر الإسلامية الغيورة، وموحياً بعظم التبعات الملقـاة على عاتق رجال الإسلام. فكان معيناً ثرّاً اغترف منه الشعراء لـدفع الشـعوب الإسلامية للجهاد والتضامن والوحدة صفاً مرصوصاً في وجه الأخطـار الـتي تهددهم.

ومما يدلّ على عمق تأثير هذا الحدث في النفوس الشاعرة أن بعض الشعراء حرصوا على نظم القصائد في ذكرى هذا الخطب العظيم؛ للإبقاء علـى هـذه

(١) شعراء الدعوة الإسلامية: ٩/١٤٩.

الذكرى حيّة في النفوس تنذر المسلمين بالشرور التي ستطبق عليهم إذا ظلّوا متقاعسين عن الجهاد.

كما رأينا الشعراء استلهموا روائع تاريخنا الإسلامي، فرسموا صوراً لأعلامنا الأبطال نماذج خالدة للأجيال؛ ليكون جهادهم امتداداً لما قامت به أصولهم من نصرة الإسلام أول مرة.

ogeikandil.com

المبحث الخامس

اجتياج اليهود لبنان ومذبحة صبرا وشاتيلا

((احتلت منطقة جنوب لبنان أهمية خاصة في نظر الصهيونية العالمية، التي سعت بعد حصولها على وعد بلفور إلى ضم جنوب لبنان إلى القسم الخاضع للانتداب البريطاني من فلسطين. وذلك يعود لعوامل دينية تدّعي أن جنوب لبنان جزء من أرض الميعاد. ولعوامل اقتصادية للسيطرة على مصادر المياه في لبنان، وخاصةً نهر الليطاني))(١).

ولقد نشطت الغارات الإسرائيلية على الجنوب اللبناني مع تزايد الوجود الفلسطيني متذرّعة بالتفتيش عن رجال المقاومة، وتدمير قواعدهم، ولكن قوات الفدائيين تصدت لمحاولات الدخول إلى الجنوب عام ١٩٧٢م وأجبرت العدو على الانسحاب.

واستطاع الطرفان (المقاومة الفلسطينية والشعب اللبناني) تفويت الفرصة على العدو الصهيوني الذي كان يستهدف زرع بذور الخلاف والعداوة، وخلق شق بين الطرفين؛ تمهيداً لضرب الثورة الفلسطينية واستنزاف الطاقات الفلسطينية وتحويلها عن عدوها الأساسي الكيان الصهيوني.

---

(١) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ١٣٤.

وقد قامت إسرائيل عام ١٩٧٣م بعدوان غادر لاغتيال عدد من قادة المقاومة، بالإضافة إلى الاعتداء على مراكز المقاومة داخل مدينة بيروت وضواحيها(١).

وبعد معارك ضارية تمكن العدو من احتلال جنوب لبنان بأكمله. وتقدم فيما بعد نحو مدينة بيروت لاحتلالها وفرض الحصار عليها ثمانين يوماً عانى فيها سكانها من الإجراءات التعسفية. حيث قُطع الماء والكهرباء عن المدينة المحاصرة، ومُنع دخول التموين والأدوية إليها.

ورغم كثافة أسلحة العدو لم يتمكن من القضاء على قوات المقاومة الفلسطينية؛ وخرجت بكامل أسلحتها بعد تعهدات دولية بعدم المساس بحقوق الفلسطينيين في المخيمات(٢).

((ولكن هذه التعهدات ذهبت أدراج الرياح عندما قام الجيش الإسرائيلي في مخيّمي ((صبرا وشاتيلا)) بمجزرة وحشية رهيبة، ذهب ضحيتها حوالي سبعة آلاف شهيد. وكان ذلك في أيلول ١٩٨٢م وتسببت هذه المجازر في سقوط الآلاف من القتلى بعد اجتياح الجيش الإسرائيلي هذين المخيّمين، ومعه مليشيات الكتائب التي توفرت لها الحماية والتغطية الكافية لهذه العملية الرهيبة.

وقد أثارت هذه الأنباء المروّعة موجات عارمة من السخط والتنديد العالميين، بما فيها الكيان الإسرائيلي نفسه. وتدل هذه المجزرة على حقد الصهاينة ضد الفلسطينيين))(٣).

---

(١) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ١٣٥.
(٢) انظر تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٨٩.
(٣) تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر: ٨٩.

وقد صور الشعراء الأحداث التي شكلت المحنة بكل صدق ومرارة. ومن الشعراء الذين وصفوا الحصار والمذبحة أحمد محمد الصديق في قصيدته ((الليل والحصار)) يقول(١):

ليلٌ وذئابٌ وحصارُ ... وقلوبٌ تأكلها النارُ
وعيونٌ زائغةُ الأحدا ... قِ وملءُ الساحةِ أخطارُ
أشباحُ الرهبةِ في الطرقا ... تِ يعربدُ فيها الإعصارُ
أشلاءٌ في كل مكانٍ ... والحقدُ جنونٌ وسُعارُ
الوالدُ عانق طفليْهِ ... فطواه السقفُ المنهارُ
ورضيعٌ يُذبَحُ في أحضا ... نِ الأمِّ وتهوي الأسوارُ
وفتاةٌ يسحبها علجٌ ... فتصيح: الموتُ ولا العارُ
وعجوزٌ هائمةٌ حيرى ... لا دارٌ ثَمّ ولا جارُ
تتعثر خلف مدامعِها ... بحثاً فتضيعُ الآثارُ
وتعود تعود ووجه الأر ... ض دمٌ وعذابٌ ودمارُ
رحلوا عن دنياهم رحلوا ... غابت في الليلِ الأقمارُ
وتذوب حشاشةُ هذا الكو ... ن أسىً وتضجّ الأقدارُ
تحت الأنقاضِ ضحايانا ... والقبرُ هنا والحفارُ

ويكشف الشاعر الستار عن صورة دامية للمأساة، فالليل الحالك يخيم على الأرجاء، والذئاب تستعدّ للفتك، والحصار مضروب على الناس، والخطر يحدق

---

(١) نداء الحق: ١١٤-١١٦.

بالجميع، كما أن الموت يرصد كل من يمشي في الطرقات. وأشلاء القتلى تتناثر في كل مكان.

ويتابع الشاعر قصيدته ضارباً أمثلة جزئية للمعاناة التي عاشها سكان المخيّمات الفلسطينية، فيرسم لنا لوحات حزينة تمثل الوالد الذي انهار عليه بيته -نتيجة القصف المتواصل- فمات هو وطفلاه. والأم التي ذبح رضيعها في حضنها، والفتيات اللاتي هتكت أعراضهن، والعجائز اللاتي شردن من بيوتهن، والدمار والدم والموت ينتشر في نواحي البلاد.

وعاد الشاعر إلى عرض الصور الدامية للمأساة فقال(١):

صبرا وشتيلا يا عطشاً ... للثأر تُراه متى يُسقى؟
شهداء المذبحةِ الكبرى ... والخطبُ يزيد بهم عمقا
بيروت بهم صارت معنى ... تتلظى أحرفُه برقا

يركّز الشاعر حديثه على مأساة صبرا وشاتيلا ويعرب عن ظمئه للثأر لشهداء هذه المذبحة الكبرى التي جعلت اسم بيروت أحرفاً تتلظّى بالنار.

ويختم الشاعر قصيدته بنبرة عالية تحكي الثورة التي تغلي في أعماقه، غضباً وحنقاً على السكوت عن هذه المآسي الدامية. فالغاصب لم يكن ليفعل ما فعله لولا استمراؤنا المهانة والذلة. فكان حالنا كالشاء التي تستسلم للذبح. فإسرائيل

ترتب بقاءها على فناء أهل الأرض الحقيقيين. وهل هناك محنة أخزى من هذه؟ ثم يدعو الشاعر إلى العمل للتحرير واستعادة أمجاد الماضي. إذ يقول(٢):

---

(١) نداء الحق: ١١٦.

(٢) المرجع السابق والصفحة نفسها.

يــا لحــنَ المأســاةِ الــدامي — والصـــدع تجاوزنـــا فَتقـــا
النقمـــةُ تغلـــي في الأعمـــا — ق وتشحن بالغضـــب الأفْقـــا
ما كـــان الغاصـــبُ لـــو كنّـــا — وأردنـــا العـــزّةَ والســـبْقا
أنســـاق جميعـــاً مثـــل الشـــا — ءِ لنُســـلم للـــذبح العُنْقـــا؟
أيـــراد لشـــعبي أن يَفـــنى — ولإســـرائيل بـــأن تبقـــى؟
هـــل تشـــهد دنيانـــا أخـــزى — مـــن تلـــك المحنـــةِ أو أشـــقى؟
عَـــرَبٌ وعروبتـــهم دعـــوى — لا تحمـــل مثقـــالاً صـــدقا
هـــل حقّـــاً نعمـــل لتحريـــ — ـــر ونبني مجـــداً هـــل حقّـــا؟

وهناك قصيدة أخرى للشاعر تدور حـــول الموضـــوع نفســـه. يقـــول في مطلعها[1]:

أيـــن المواثـــقُ والـــذمام؟ — لا عهـــدَ يرعـــاه اللئـــام
هـــذي حصـــائدُ أمـــتي — بعـــد التفـــرقِ والخصـــام
بعـــد التخـــاذلِ والســـكو — تِ وبعـــد مأســـاةِ الختـــام
هـــو ذا القعـــود عـــن الـــوغى — هـــي ذي مراتعُـــه الوخـــام
هو ما تـــرى الـــدنيا وتشْـــ — ـــهدهُ مـــن المـــوتِ الـــزؤام

الشاعر في المقطع السابق يعلن النكير على العملاء الذين لم يراعــوا إلاّ ولا ذمّة؛ فذبحوا أهلهم وأعانوا أعداءهم. ويرجع الشاعر سبب ما حدث إلى الفرقــة والخلافات بين الأشقّاء الذين شغلتهم خلافاتهم عن نصرة إخوانهم المنكــوبين. ويعلن أن ما حدث كان نتيجة القعود عن الجهاد.

---

(١) نداء الحق: ١٢٤-١٢٥.

ثم يمضي الشاعر في قصيدته مبيّناً صور المذبحة. فيقول[1]:

يـــا أمـــي كـــم هـــان قـــد — رك ذلـــةً بـــين الأنـــام
أو يـــدفن الآلافُ مـــــن — أبنـــاءِ شـــعبي في الرّكـــام؟
يستصــــرخون ولا مغيــــــ — ــــثَ ويُــذبحون ولا انتقــام
أوَيبلـــــغ الإذلالُ هـــــــ — ــــذا المنتــهى؟ يـــاللملام!
بـــيروتُ تشـــهد كيـــف لا؟! — ويضـــيقُ بالجثـــثِ الرّغـــام
ويُبـــاد شـــعبٌ كامـــلٌ — بالغـــدرِ في جـــنحِ الظـــلام
حـــتى الرضـــيعُ وأمُّـــه — والشـــيخُ يُـــذبَح والغـــلام
وتســـيل أنهـــارُ الـــدمِ الـــ — ــمورِ تُلـــهب كالضّـــرام

يبرز الشاعر تفاصيل المأساة التي حدثت في لبنان بعد أن يبكّت المتخـــاذلين ويدعوهم إلى الثورة. ثم يصف المذابح، حيث دُفن الآلاف، ولم يهبَّ أحد للثأر من القتلة، وأبيد شعب كامل غدراً وحقداً في ظلام الليل، ولم يتورع المعتدي عن قتل الأطفال والأمهات والشيوخ.

وفي نهاية المطاف يوجّه الشاعر دعوة لإيقاظ النيام ثـأراً للأبريـاء الـذين استشهدوا في تلك المجازر الرهيبة. ويستبعد الشاعر الاستجابة فلا حيـاة لمـن تنادي، ثم يتساءل في ثورة: متى تنهض الأمة بالمهام الجسام المنوطة بها؟؛ لتشـفي القلوب الحزينة، وتقضي على البغاة، وترفع راية الإسلام عزيزة خفاقة ((في أعلى مقام)).

---

(١) نداء الحق: ١٢٦.

وهذا الشاعر عبد الرحمن العشماوي[1] يعبر عن صورة الحـــدث الألـــيم. فيقول[2]:

لبنان جرحكِ في الأحشاءِ يلتهب ... و لم يزل يتساقى دمعكِ العـــربُ
جاؤوا إليكِ قـــرارات مزمجـــرةً ... أوراقُها في مهبّ الريح تضطربُ
جاؤوا إليك نداءاتٍ سيسمعها الــ ... أعداء، ينضح منها المجدُ والحسبُ
جاؤوا إليك وما للموت أغنيـــةٌ ... إلا وكان لهم من لحنِها طـــربُ
أتنكرين؟ ومـــا زَفَّ العـــدوُ إلى ... عينيكِ من أرقٍ إلا لـــه شـــجبوا
أتنكرين؟ ومـــا نالتـــك قنبلـــةٌ ... إلا، وثارَتْ لها الأشعارُ والخطبُ
الســـامعون، وفي آذاهـــم ثقـــلٌ ... والصامتون وفي أفواههم شـــغبُ

يرفع الشاعر صوته عالياً مبكّتاً المتخاذلين عن عون إخوانهم المنكوبين. فلبنان الجريح يئن من وطأة الألم. والأمة تغطّ في سباتها العميق، ولا يكاد يُســـمع لهـــا سوى نداءات وشعارات ترفع، ولا رصيد لها في الواقع. فاستهانوا بجراح إخوانهم واكتفوا بالشجب والاستنكار لممارسات العدو الوحشية.

ثم يعرض لمحات من الماضي الزاهر بالعزة والرفعة، يوم أن كان المسلمون معتصمين بحبل الله، فكان لهم وساماً للمجد، ويتساءل الشاعر في حيرة وألم وتحسّر: ((ماذا قدم العرب؟)) لم يقدموا سوى الشعارات والهتافات التي لا نفع لها.

---

(١) عبد الرحمن بن صالح العشماوي: ولد في قرية عراء بمنطقة الباحة جنوب المملكـــة العربيـــة السعودية، نال الشهادات الجامعية الثلاث العليا. له مجموعة كبيرة من الإصدارات الشـــعرية والنثرية، وله برامج ثقافية في الإذاعة والتلفاز، انظر: مدرسة بدر وشعراؤها: ١٥٠-١٥٤.

(٢) قصائدي إلى لبنان: ١٤.

ويؤكد الشاعر في ختام قصيدته أن لا عزّة إلا بالإسلام، مضمّناً حديثه ما ورد عن عمر -رضي الله عنه- حين قال: ((نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام، ومهما ابتغينا العزّة بغيره أذلّنا الله)) وهذا هو واقع الأمة اليوم، فلله درك يا عمر! يقول[١]:

لبنان هذا زمانُ الدمعِ فانتحبي ... فأرضُنا منذ طاش السهمُ تنتحبُ
لا تعجبي من ضياعِ المجدِ واحتسبي ... بعضُ الموازين -لو تدرين- تنقلبُ
بالأمسِ كنا نوازي الشهبَ منزلةً ... واليومَ تسخر من إغضائنا الشّهبُ
بالأمسِ كنا بدين الله أوسمةً ... للمجد، واليومَ، ماذا قدّم العربُ؟
غنّوا بألحانِ قوميّاتِهم زمناً ... وجهّزوا ألفَ مركوب، وما ركبوا
تالله ما نزلت بالعُربِ نازلةٌ ... إلا وتفريطُهم في دينِهم سببُ
أعزّهم ربُّهم بالدين لو طلبوا ... في غيره العزَّ ما فازوا وما غلبوا

وليس موقف الشاعر نفسه في قصيدته ((يا خجلة التاريخ)) بأبعد من موقفه في القصيدة السابقة، حيث يفتتح القصيدة بقوله[٢]:

((صبرا وشاتيلا)) تصيحانِ ... أواه من جرحي وأحزاني!
ما هذه الأشلاء تملؤني ... رعباً وما هذا الدمُ القاني!

ويمضي الشاعر ليغمس ريشته في نزف روحه وفؤاده قائلاً على لسان ((صبرا وشاتيلا))[٣].

---

(١) قصائدي إلى لبنان: ١٧.

(٢) المرجع نفسه: ٢٤.

(٣) قصائدي إلى لبنان: ٢٤-٢٥.

من دنّس الأعـراضَ في كنَفـي ... ومن هـذا الخطـب أعمـاني؟
من أنبـت المأسـاةَ في طـرفي ... من يا تـرى بالرعـبِ واراني؟
مـن بـاعني للمـوتِ ممتشـقاً ... سيف الهوى في شـرِّ ميـدانِ؟

وبعد هذه التساؤلات المرّة يأتي الجواب:

لـن يجهـلَ التـاريخُ صـورتَه ... (وحشٌ) بدا في ثوب (إنسـانِ)

إنها الوحوش الآدمية فتكت بالناس في صبرا وشاتيلا بلا رحمة.

ثم ينتقل الشاعر إلى مقارنة مترعة بالأسى بين ماضي لبنان وحاضره. ففـي الماضي كان الفجر مشرقاً فيها على الدوام، واليوم صار فجرها يحمـل المـوت والقتلى، وكذلك الليل صار وقت الذبح وهو الوقت الذي حدثت فيه المجـزرة الرهيبة. يقول(١):

بالأمسِ كان الفجـرُ يعشـقني ... واليومَ يخشى الفجـرُ جثمـاني
بالأمسِ كـان الليـلُ متّكئـي ... واليومَ صـار الليـلُ أكفـاني
بـالأمسِ أصـواتٌ تؤانسـني ... واليومَ هذا الصـمتُ يغشـاني

ثم يتوجه الشاعر باللوم إلى المتقاعسين، إذ يقول(٢):

يا أمـة مـا كنـت أحسـبُها ... إلا سـتحميني وترعـاني
كم غادةٍ صاحت وما وجـدت ... من يحتويها عـن يـدِ الجـاني
يا ويلنـا مـن ذلـةٍ سـكنتْ ... فينـا فصـرنا قـومَ خـذلانِ

---

(١) قصائدي إلى لبنان: ٢٥.
(٢) قصائدي إلى لبنان: ٢٦.

آمالنـــا جفّـــت منابعُهـــا وارتـــدّ عنـــها كـــلُّ ظمـــآنِ
والخطبُ يزحفُ صـوبَ أمتِنـا -يدنو إليهـا- زحـفَ ثعبـانِ

يطلق الشاعر صيحته المدوّية من أعماق قلبه المكتوي بنار الحزن والأسـى. فيستثير المشاعر الإسلامية ويشحذ العزائم للثأر، مبصّراً الأمـة بـالخطر الـذي يتهددها إن هي استكانت إلى الدعة والراحة.

ولا يقف الشاعر عند حد تقريع الأمة المتقاعسة، وإنما يتعدى ذلك معلـلاً سبب البلاء والهوان بأنه الإعراض عن دين الله، وفقدان الإيمان الصادق، والفرقة والخلافات التي ابتُليت بها الأمة. يقول(١):

يا ربِّ مـا حـلّ الـبلاءُ بنـا إلا بـإعراضٍ وعصـيانِ
نرنـو إليـك وفي ضـمائرِنا آثـارُ أحقـادٍ وأضـغانِ
إنـا لـنعلم أن عزتَنـا وقـفٌ علـى صـدقٍ وإيمـانِ
لكنّ صـفَّ القـومِ منصـدعٌ كـلٌّ يسـفّه حكمـةَ الثـاني

وفي نهاية القصيدة يدعو الشاعر إلى تدارك الحال التي وصلت إليها الأمـة؛ بالالتفاف حول كتاب الله حكماً وعملاً، لتقال عثرة الأمة. يقول(٢):

لن يترعَ المأسـاةَ مـن وطـني إلا اجتمـاعٌ حـول قـرآنِ

ويلتقي الشاعر العشماوي مع شاعر آخر هو كمال الوحيدي في الأفكـار نفسها، فيقدم الأخير لقصيدته ((المجازر)) بقوله(٣):

(١) قصائدي إلى لبنان: ٢٧.
(٢) المرجع السابق: ٢٩.
(٣) المرجع السابق: ١٧٨.

((تعرض الشعب الفلسطيني منذ الانتداب البريطاني إلى أبشع أنواع القمع والتعذيب والطرد والتشريد من وطنه، والمجازر الوحشية في قبية، دير ياسين، سلمة، أسدود، وأخيراً صبرا وشاتيلا في لبنان)).

ويعزف الشاعر في مطلع قصيدته لحناً حزيناً ضمنه معاناته النفسية جراء ما يرى ويسمع من مجازر وحشية. فيقول(١):

جراحاتٌ بأعماقي ونارٌ كيف أطفيها!؟
وآلامٌ وويلاتٌ بقلبي لستُ أخفيها
وأناتٌ وأوجاعٌ تعالت من مخابيها
وأبياتٌ حزيناتٌ تناجيني قوافيها
وأطيارٌ كئيباتٌ نضوا عنها خوافيها
إلى أعشاشها حنّت إلى الأفراح تبكيها

ويبدأ الشاعر -بعد هذا المطلع الحافل بالوجدان الشعري الذي ينبئ عن الحسرة والألم الممض- في تصوير المذابح والحرب حيث جرت فيها دماء الأهل أمواجاً، والمدافع دكّت الموانئ، والغابات الكثيفة صارت رماداً، والمزارع تجنيها يد العدوان الآثمة، والبيوت غدت ركاماً، وأشلاء القتلى مبعثرة هنا وهناك. فيقول(٢):

---

(١) طريد الدار: ١٧٨-١٧٩.

(٢) المرجع نفسه: ١٧٩.

وأمـــواج قـــد احمـــرّت دمـــاءُ الأهـــل ترويهـــا
وشـــطآنٌ غضـــوباتٌ وقـــد دُكـــت موانيهـــا
وصـــحراء مزمجـــرةٌ عبوســـاتٌ ســـوافيها
وغابـــاتٌ محرّقـــةٌ رمـــاداً قـــد أحالوهـــا
وبيّـــاراتُ خـــيرات يـــدُ الإجـــرامِ تجنيهـــا
وأبيـــاتٌ مـــدمّرةٌ ركامـــاً بـــات عاليهـــا
وأشـــلاءٌ مبعثـــرةٌ هنـــا وهنـــاك تشـــويها
وأجســـادٌ مقطعـــةٌ ونـــار الحقـــد تشـــويها

ثم يوجه خطاباً لائماً الأمة الصامتة. فيقول(١):

وأرواحٌ إلى البـــاري شـــكت صـــمتاً وتمويهـــا
شـــكت أغمـــادَ أســـياف نبـــت ذلاً مواضـــيها
شكت مـــن ضـــيعوا الأقصـــى ومـــا لبّـــوا مناديهـــا
وفي لبنـــان أحقـــادٌ تجرعنـــا مآســـيها
((فصـــبرا)) نكبـــة كـــبرى وحـــوش الغـــاب تنفيهـــا
((شـــتيلا)) مثلـــها بيـــدت مجـــازر بـــات مـــن فيهـــا

إن الأرواح التي أزهقت على ثرى لبنان وفلسطين تشكو إلى الباري -جل شأنه- سكوت الأهل والإخوان وعجزهم عن نصرة إخوانهم ومد يد العون لهم. كما تشكو تقاعسهم عن القتال وإغماد السيوف ذلاً ومهانة. كما تشكو هـذه الأرواح من ضيعوا مسجدهم المبارك و لم يلبّوا نداءه المستغيث. وفي لبنان تفـرق

(١) طريد الدار: ١٧٩.

الإخوة جراء الأحقاد والخلافات، مما جرّ عليهم المآسي ومنها نكبة ((صبرا وشاتيلا)) التي أُبيد أهلوهما بأيدي اليهود وعملائهم الخونة.

ويستنهض الشاعر الأمة لتهبّ لنجدة المسلمين في لبنان وفلسطين مستلهماً معطيات معركة حطين المجيدة، ومستنجداً بصلاح الدين القائد البطل. فيقول(١):

ومن حطين صيحاتٌ   عسى ((الكردي)) يأتيها
فصبراً يا بني أرضي   وكونوا اللحنَ من فيها
وصونوا القبلةَ الأولى   وسودوا في مرافيها
فأنتم أهلُ غاراتٍ   بها دوّت فيافيها

أما الشاعر داود معلا(٢) فقد صور المأساة من خلال قصيدة بعنوان ((صبرا وشاتيلا وبيروت)) يرثي في مطلعها مدينة بيروت، كيف كانت وكيف أصبحت؟. فيقول(٣):

بالأمسِ كانت ترينا ثوبَها القصَبا(٤)   تختال فيه على أقرانِها عجبا
بالأمسِ أي عروسٍ أنت لاهيةً   تمارس الحبَّ كأساً مدهقاً وصَبا؟

---

(١) طريد الدار: ١٨٠.

(٢) داود موسى داود معلا: من مواليد قرية المالحة التابعة لمدينة القدس في فلسطين عام ١٩٣٣م. خرج من بلده بعد حرب ١٩٤٨م، عمل مع والده في الأعمال الحرة، ولم يمنعه السن أو العمل من إكمال دراسته الجامعية، له ديوان مطبوع، انظر مختارات من الشعر الحديث: ١٠٠.

(٣) الطريق إلى القدس: ١٣.

(٤) قصّب الثوب: حلاّه بالقصب، وهي شرائط مذهبة أو مفضضة تحلى بها الثياب.

واليوم أي حريق بـــات يأكلـــها يحرّق اللحمَ والأعراقَ والعصَبا؟
كلُّ الخواتمِ ذابـــت في أصـــابعِها وذوّبت بعدها الأقراطَ والـــذهبا

يتحدث الشاعر عن بيروت حديثاً يبين عن مشاعر الألم والحسرة على المدينة التي صورها عروساً جميلة تختال على أقرانها عجباً وتيهاً بحسنها. وهي اليوم رهينة الدمار والحريق.

ثم يذكر الشاعر بأهداف الغرب الحاقد على الإسلام وأهله وتـــآمره مـــع إسرائيل؛ لزرعها خنجراً مسموماً في أحشاء الأمة.

كما يندد الشاعر في المقطع التالي بالعملاء والأحزاب الغادرين بإخوانهم مع أواصر القربى بينهم. ويذكّر بصورة المذابح وما حوت من قتل وأشلاء مبعثرة، ثم يقرر بأن لا عزة ولا قيمة للعرب بلا إسلام. فقال[1]:

أهكذا أنـــتِ إســـرائيل ثانيـــةً يريدك الغربُ فينا مرتعاً خصـــبا
وكران للكفر مقرون سلاحُهما وخنجران على أحشائِنا ضُـــربا
باسم العروبة أم باسم اليهود أتى حزب الكتائب هذا العار وارتكبا
حقدٌ وقتـــلٌ وأشـــلاءٌ مبعثـــرةٌ ألا يبـــيّن هـــذا أنهـــم غربـــا
ليست عروبتنـــا شـــيئاً نقدســـه إلا إذا كان للإســـلام منتســـبا

أما الشاعر يوسف العظم فله مشاركة متميزة في هذا المجال حيـــث جـــاء عرضه للمأساة على لسان فلسطينية في بيروت تروي قصتها[2]:

---

(١) الطريق إلى القدس: ١٤.

(٢) عرائس الضياء: ٢٧.

ذبحـوني مـن وريـدٍ لوريـدِ وسقوني المرّ في كـل صـعيدِ
مزّقوا زوجي فلـم أعبـأْ بهـم ومضَوا نحو صغيري ووحيـدي
غرسـوا الحربـةَ في أحشـائهِ فغدا ((التكبيرُ)) أصداءَ نشـيدي
دمروا بيتي وهـل بـيتي هنـا؟ إن بيتي خلف هاتيـك الحـدودِ
وتلفّـتُّ فلـم أعثـرْ علـى غيرِ أبنـاء الأفـاعي والقـرودِ
ذبحـوني مـن وريـدٍ لوريـدِ غيرَ أني لم أطـأطئْ ليهـودي

يمثل المقطع الأول من القصيدة مشهداً مؤثراً من معاناة أم فلسطينية يهاجم العدو بيتها فيقتل زوجها وابنها الوحيد بوحشية وشراسة، وما يكون من هـذه الأم الأبيّة سوى التكبير والاصطبار. ولم يكتف العدو بذلك، بل دمّـر بيتـها فصاحت:

((إن بيتي خلف هاتيك الحدود!)) وتتلفت حولها علّها تجد من ينجدها، فلا تجد سوى الأعداء حفدة القردة. وتعلن عن صمودها وعزّها وإبائها مع كل مـا يجري لها.

وتتابع الأم قصتها(١):

ودمي سال علـى تلـك الربـا ينثر العطرَ علـى حمـرِ الـورود
ولوائي فـوق هامـاتِ الـورى يتحدى في العـلا كـلَّ البنـودِ
قـل لمـن يلـهث في غفلتِـه ينشـدُ السـلمَ تمتـعْ بالصّـديدِ
إن في يافـا مواعيـدَ لنـا وربا القدس لنـا بيـتُ القصـيدِ

---

(١) عرائس الضياء: ٢٨.

وعلـــى شـــطآنِ حيفـــا موعـــدٌ كيف ننسى في الحمى خضرَ الوعودِ؟
ذبحـــوني مـــن وريـــدٍ لوريـــدِ ودمـــي يجتـــاحُ أحقـــادَ اليهـــودِ

فقطرات الدم من جرح هذه الأم تنبه الأمة إلى تبعاتها التي ينبغي لها النهوض بها. لتحمل راية الجهاد ((فوق هامات الورى)) متحدية كـل قـوى الكفـر والضلال. وتؤكد في ثورة ضارية أن من يؤثر السلم مع العدو الغادر، فلا جدوى لدعواه الدنيئة. فليس سوى الجهاد يعيد إلينا يافا والقدس وحيفا والأرض المباركة كلّها.

ثم تنظر بتفاؤل إلى الأمجاد الإسلامية مستمدة منها العزيمة والتوثب لإحيـاء هذه الأمجاد في المستقبل الزاهر. تقول[(١)]:

قـــل لمـــن يحســـبُ أنّـــا أمـــةٌ أنكرت أمجـــادَ ســـعدٍ والوليـــدِ
نحن شعبٌ لم يعدْ يخشى الـــردى أو يبـــالي برصـــاصٍ وحديـــدِ
قطـــع العهـــدَ وفي أعماقِـــه دعوةُ التوحيدِ والـــدينِ الرشـــيدِ
كلمـــا أُطفِـــئَ منـــا قـــبسٌ أشرقَ القرآنُ بـــالفجرِ الجديـــدِ
قـــد رجعنـــا رايـــةً زاحفـــةً بعـــد أيـــامِ ضَـــياعٍ وشُـــرودِ
ومضـــينا نحـــو آفـــاقِ العـــلا يُســـلمُ الرايـــةَ جَـــدٌّ لحفيـــدِ
إنهـــا الجنـــةُ تبغـــي ثمنـــاً عزّ إلا مـــن شـــرايين الشـــهيدِ

تعلن الأم الفلسطينية صمود الشعب وعزمه على الثأر، ماضياً على طريق الجهاد، والقرآن دستوره الخالد. فقد عرف طريقه بعد ((ضياع وشـرود))

---

(١) عرائس الضياء: ٢٠.

مستشرفاً آفاق العلا والسؤدد، طالباً الشهادة في سبيل الله ثمناً لجنة الله ورضوانه.

وهكذا كانت هذه الهجمة على الفلسطينيين في لبنان مأساة استلهم الشعراء منها قصائدهم، التي أودعوها آهاهم وحسراهم من جهة، ونقمتهم وغضبهم من جهة أخرى.

فأكّد الشعراء فظاعة تلك الأحداث والمجازر في حديث تضمّن الألم الذي عصر قلوبهم، والتبكيت الذي يهزّ أحاسيس المتخاذلين. فنرى الشعراء ما أبرزوا الحدث ونددوا به إلا شحذوا العزائم واستنهضوا الهمم، مطالبين بالجهاد والثورة، تعاضدهم العزيمة والثبات، ويساندهم الإيمان بالحق المغتصب، وتؤازرهم الكرامة والعزّة؛ للنهوض من جديد وبناء مستقبل مشرق، يستند إلى الحضارة الإسلامية العريقة التي كنّا بفضلها ربان الكون الذي يقوده إلى شاطئ السعادة والسلام..

وعلى هذا النحو رصد الشعر الإسلامي في هذه المرحلة جميع أحداثها. فسجل سلسلة النكبات والمآسي تسجيلاً كان يتابع من خلاله جزئيات الواقع الحي للمأساة، كما يتابع أثر هذا الواقع في نفوس المسلمين، كما يمكن أن تقفنا على ذلك جملة النصوص المختارة.

obeikandl.com